الصفات النفسية والعقلية للمرأة

obeikandl.com

obeikandl.com

الصفات النفسية والعقلية للمرأة[1]

إن المرأة من أجمل متع الحياة التي خلقها الله للرجل... والمرأة هي المرأة... بالأمس واليوم والغد... يختلف اسمها وشكلها ولونها ولسانها ودينها... ولكنها هي هي في خَلْقها وما جُبلت عليه من صفات الأنثى، لا فرق بين مسلمة وكافرة، ولا بين عربية وعجمية، ولا بين متعلمة وجاهلة، ولا بين متزوجة وعازبة...

ونفس المرأة مركبة من أمزجة مختلفة، وصفات وأخلاق كثيرة وراء الحصر والإحصاء. ولا يستطيع أي إنسان أن يحلل نفس المرأة تحليلاً شاملاً وافيًا. وإذا ما حاول إنسان ما أن يحلل نفس المرأة فعليه أن يتجرد من الهوى، فلا ينحاز إلى جانب المرأة فيفتنها ولا يقف ضدها فيظلمها، بل عليه أن يكون منصفًا فيذكر ما لها وما عليها... وإذا كان لا يعرف المخلوق أحد أكثر من خالقه، فإن خير سبيل لاستكشاف نفس المرأة هو تتبع ما أخبر به عنها خالقها وباريها، وكذلك ما أخبر به عنها رسول خالقها محمد ﷺ، مما أكده الواقع والتجربة والملاحظة... وهذا هو السبيل الذي سوف أسلكه -إن شاء الله- في محاولتي المتواضعة هذه لبيان بعض صفات المرأة النفسية والعقلية.

---

(١) أرقام المراجع الرئيسة لهذا الفصل في قائمة المصادر والمراجع إضافة إلى (القرآن الكريم) و(كتب الحديث): (١٠)، (١١)، (١٣)، (١٤)، (١٨)، (٢١)، (٢٢)، (٢٣)، (٢٥)، (٢٦)، (٥٦).

المرأة آية من آيات الله:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

أي خلق لكم من جنسكم إناثًا تكون لكم أزواجًا ﴿لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾... يعني بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر. ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكورًا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس. ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم وجعل بينهم وبينهن مودة، وهي المحبة، ورحمة، وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك[2].

لقد حارت الأمم السابقة للإسلام في المرأة ووصفوها بأنها مخلوق عجيب، ولغز محير، وشر لا بد منه، وأنها تشبه شجرة مسمومة! ووصل بهم الأمر إلى وصفها بأنها رجس من عمل الشيطان، وباب الشيطان، بل هي الشيطان بذاته...! وعقدوا المؤتمرات للبحث فيما إذا كانت المرأة إنسانًا أم غير إنسان، وهل

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.
(٢ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم٣/٤٣٩.

لها روح أم ليس لها روح؟ وإذا كانت لها روح فهل هي روح حيوانية أم روح إنسانية؟ وإذا كانت روحًا إنسانية فهل هي على مستوى روح الرجل أم أدنى منها؟

وأخطأ كثير من العلماء والأدباء والمفكرين والمحللين النفسيين وغيرهم عندما عابوا في الأنثى بعض الصفات التي تميزها عن الذكر، وعيَّروها بنقصان عقلها بعدما قارنوه بعقل الرجل. ولا يدري هؤلاء جميعًا أنهم عندما يصفون الأنثى بهذه الصفات السيئة، ويقررون أن هناك نقصًا وعيبًا في خَلْق الأنثى وتكوينها وفطرتها، فإنهم ينسبون ذلك إلى الخالق تبارك وتعالى؛ لأن خَلْق المرأة وتكوينها لم يكن في يوم من الأيام إليها حتى تُعدِّل فيه أو تُحسِّنه.

وهكذا وقع على المرأة ظلم عظيم عند معظم الأمم على مختلف أجناسهم وألوانهم، إلى أن جاء الإسلام فأنقذها من هذا الظلم والذل، ومنحها مكانتها المرموقة التي تستحقها أمًّا وأختًا وزوجة وابنة.

لقد خلق الله الأنثى فأحسن خلقها، وحاشا لله أن يكون في خَلْقِه عيب أو نقص وهو ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** ﴾[1]، فهي مخلوق تام الخلقة ونعمة عظيمة من الله ومن أجمل متع الحياة. ومقارنة الأنثى بالذكر أو محاولة مساواتها به لا تصح لأنه ﴿ **وَلَيْسَ**

(١) سورة السجدة، الآية: ٧.

﴿الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾[1]. فالمرأة لها تكوينها وصفاتها الخاصة بطبيعتها الأنثوية كما للرجل تكوينه وصفاته الخاصة بطبيعته الذكورية. فلا يُطالَب جنس من الخَلْق أن يكون له التكوين والصفات نفسها لجنس آخر. ولو جاز القول مثلاً: إن عقل المرأة ناقص لأن عقل الرجل أكبر من عقلها لجاز القول أيضًا: إن عاطفة الرجل ناقصة؛ لأن عاطفة المرأة أكبر من عاطفته. ولكن لكل منهما عقله وعاطفته الخاصة بجنسه، وكمال المرأة وجمالها أن يكون عقلها بهذا المقدار ولو زاد لاقتربت من الذكورة، كما أن كمال الرجل وجماله أن تكون عاطفته بهذا المقدار ولو زادت لاقترب من الأنوثة، ولصار يبكي في المواقف الصعبة التي تتطلب الشدة والبأس.

إن نقص المرأة بالنسبة للرجل يقابله تفوق ملحوظ في جوانب أخرى متعددة، فمثلاً؛ نقص وظائف عقلها الأساسية يقابله تفوق في وظائفه الثانوية، ونقصان قدرتها على التفكير المنطقي يقابله عظم قدرتها على التفكير الحدسي والإلهام، وضعفها الحسي الناتج عن رقتها ومرونتها وشدة حساسيتها يقابله تفوق وسمو في مظاهر الأنوثة ومتطلبات الأمومة.

وكما أن وظائف الحمل والولادة والإرضاع تتطلب مواصفات جسمية خاصة في جسم المرأة، فكذلك هذه الوظائف ورعاية الوليد

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

وتربيته تتطلب صفات خاصة في نفس المرأة وعقلها. وعندما نعلم أن هذه الوظائف تُدار وتُدبر بالعاطفة أكثر مما تُدار وتُدبر بالعقل، يتبين لنا إعجاز الخالق في خَلقها، حيث جعل عاطفتها أقوى من عقلها. فمن بديع صنع الله أن يكون خَلْق المرأة وتكوينها وفطرتها هكذا، ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾[1]. وإلا لما حصل السكن والمودة والرحمة بين الرجل والمرأة، ولما عمرت الأرض بالإنسان.

فكما كان الذكر نطفة منوية والأنثى بويضة اتحدا فأصبحا شيئًا واحدًا هو النطفة الأمشاج، فكذلك الذكر والأنثى في كبرهما يتحدا ويلتحما ليصبحا شيئًا واحدًا، أو وجهان لعملة واحدة هي الوجود الإنساني.

ونواقص المرأة بالنسبة للرجل شيء طبيعي في شخصيتها حتى تصبح المرأة امرأة وتكمل وتتمم الرجل. حتى تصبح منحنيات المرأة تقابل نتوءات الرجل كأنها مخلوقة على (قدها) لتتداخل معها وتستقر فيها، حتى يصبح كل تجويف في المرأة يقابله بروز في الرجل، وكل تجويف في الرجل يقابله بروز في المرأة. ومن التحام الجزأين المتقابلين تتألف (تركيبة) مترابطة متناسقة، يتكون منها مخلوق متكامل، متآلف الأجزاء[2]، قال الله تعالى: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ**

(١) سورة النمل، الآية: ٨٨.
(٢) انظر: محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام ١٧٣.

وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1]. أي «هنَّ لحاف لكم وأنتم لحاف لهنَّ، وحاصله أن الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضاجعه» [2].

وإنما دخل النقص على المرأة واتصفت بصفات سيئة عندما استخف بها الشيطان فذهب بها وأزالها عما كانت عليه وجال معها في الباطل كما قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**» [3] ومعنى حنفاء، أي؛ مسلمين، وقيل: طاهرين من المعاصي، وقيل: مستقيمين منيبين لقبول الهداية. وقد أخبر النبي ﷺ أن: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**» [4]، والفطرة هي الإسلام. وعهد الشيطان بالمرأة هكذا قديم منذ أن كانت حواء في الجنة فأغواها للأكل من الشجرة الممنوعة فكان عاقبة ذلك إخراجها من الجنة مع زوجها آدم.

وبسبب الشيطان دخل النقص على كثير من الرجال أيضًا، ولكن أكثر ما يتسلط الشيطان على المرأة لأنها أسهل عليه من الرجل؛ فصار نتيجة ذلك أن النساء أكثر أهل النار كما أخبر رسول الله ﷺ. وحسبنا في الموازنة بين الرجال والنساء قول النبي ﷺ:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٢٢٦/١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين.

«كَمَلَ من الرجال كثير، ولم يَكْمُل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران. وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» (١).

والمرأة في ذلك مسكينة وضحية أيضًا، وهذا الأمر يجب أن يدفع أولياء أمور المرأة إلى حمايتها من الشيطان وعدم التغافل عنها غمضة عين حتى لا تقع فريسة له **«فإنما يأكل الذئب القاصية»** (٢). ويجب أيضًا وقايتها من النار كما أمر الخالق تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ (٣).

ولم يكف هذه المسكينة الضعيفة تسلط الشيطان عليها لإفسادها وجعلها حطب جهنم، حتى أخذت بيئتها ومجتمعها وربما أهلها -وكذلك حركة (تحريف المرأة) عن فطرتها السليمة التي فطرها الله عليها، ومؤسسها إبليس- بإفسادها وإبعادها عن هذه الفطرة والأصل، ودفعها دفعًا إلى الفسق والفجور والتبرج والسفور، وتحويلها إلى فتنة من أضر الفتن على الناس وخاصة الرجال، مستغلين بذلك عاطفتها القوية وحبها للتزين والتجمل؛ فنشأ عن ذلك أن اتصفت المرأة ببعض الصفات السيئة وصار واقعها محزنًا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ - إلى قوله - وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٥١١.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.

جدًا، ومما يبعث على الأسى والحزن أكثر أن هذا الواقع الفاسد قد أصبح شائعًا ويعم معظم النساء.

إن الصفات الكثيرة المعروفة عن المرأة لا تتوزع على نحو واحد في جميع النساء، بل هي تختلف من امرأة إلى أخرى، فقد تضعف إحدى الصفات في امرأة حتى لتكاد تختفي، وتظهر في أخرى واضحة جلية. وما سوف يُذكر من الصفات يُقصد منها عموم النساء وأغلبهن، ولا شأن لنا بالاستثناء الذي لا بد منه في كل تعميم، إذ ما زال يوجد في النساء من تتغلب على الشيطان وتقاوم البيئة والمجتمع المنحرف عن شرع الله وتحافظ على فطرتها.

وإذا كان بعضهم يقول:

إن النساء شياطين خُلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

أو يقول: النساء شر كلهن. فهذا ليس صحيحًا، وهو محض تجن على المرأة. فلا النساء شياطين، ولا كلهن شر. وكيف يُطلق وصف الشر على كل النساء وقد أخبرنا النبي ﷺ أن: «**خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون**»[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش: أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده**»[2].

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٣٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب إلى من ينكح، وأي النساء خير؟

ولا يزال في كل عصر يوجد نساء ممن قال الله عزَّ وجلَّ فيهن: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ...﴾[1]. وهناك أيضًا: صادقات وصابرات وخاشعات ومتصدقات وصائمات وحافظات فروجهن وذاكرات الله كثيرًا... فكيف يكون هؤلاء النساء شرًا وهنَّ لهن أجر عظيم عند ربهن؟! بل أقول:

إن النساء رياحين خُلقن لنا وكلنا يشتهي شم الرياحين

وكما أنه يوجد نساء استثنائيات يتصفن بهذه الصفات الحسنة، فكذلك يوجد نساء استثنائيات يخالفن فطرتهن ويتصفن بصفات سيئة مناقضة مثل: الكافرة والمنافقة والبغي والكاذبة والنكدة والبذيئة اللسان... إلخ.

وعلى العموم فإن البحث هنا لا يتناول هذه الصفات الحسنة أو السيئة؛ لأنها صفات سلوكية إضافية لا يمكن تعميمها على جنس النساء، إضافة إلى أنها صفات يشترك فيها الرجال والنساء على السواء، وإنما يتناول الصفات التي تخص المرأة بصفتها أنثى، أي الصفات الأساسية التي عُرفت في شخصية المرأة كائنة من كانت.

المرأة خُلقت من ضلع:

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن حقيقة خَلْق المرأة ومن أي شيء خُلقت، فقال عليه الصلاة والسلام: «**واستوصوا بالنساء خيرًا،**

(١) سورة التحريم، الآية: ٥.

فإنهن خُلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا»[1].

وقال ﷺ: «**إن المرأة خُلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها**» [2].

قال ابن مسعود، وابن عباس: لما أسكن آدم الجنة مشى فيها مستوحشًا، فلما نام خلقت حواء من ضلعه القصرى من شقه الأيسر ليسكن إليها ويأنس بها؛ فلما انتبه رآها فقال: من أنت؟! قالت: امرأة خلقت من ضلعك لتسكن إليَّ. ويقول القرطبي: وزوج آدم عليه السلام هي حواء عليها السلام، وهو أول من سماها بذلك حين خلقت من ضلعه من غير أن يحس آدم عليه السلام بذلك؛ ولو ألم بذلك لم يعطف رجل على امرأته. فلما انتبه قيل له: من هذه؟ قال: امرأة؛ قيل: وما اسمها؟ قال: حواء؛ قيل: ولم سميت امرأة؟ قال: لأنها من المرء أخذت؛ قيل: ولم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حي. روي أن الملائكة سألت عن ذلك لتجرب علمه[3].

قوله ﷺ: «**إن المرأة خُلقت من ضلع**» خبر كقول الله تعالى: ﴿**خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ**

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٧/١.

مِّن نَّارٍ﴾[1] وقد أخبر رسول الله ﷺ: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم**»[2]. فهنا يخبر ﷺ عن المواد التي خُلقت منها الملائكة والجان وآدم، وهناك يخبر عن خَلق المرأة من الضلع. وليس في ذلك أي تعيير أو ذم أو قدح في كون هذه الأنواع من الخَلْق خُلقت من هذه المواد.

وكثير من الناس بما فيهم النساء يفهمون خَلق المرأة من الضلع على غير المراد، ويقصدون من ذكره تعيير المرأة وذمها ويصفونها بأنها ضلع أعوج، ويذكرون في ذلك بعض الكلمات الشنيعة الضالة. مع أن خَلْقها من ضلع أعوج هو من بديع صنع الله و ﴿**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ**﴾[3]، ولو لم تُخلق المرأة من الضلع لما تحقق المراد من خَلْقها، فالضلع الأعوج له وظائف ومزايا وصفات وفوائد متعددة لا تتحقق فيما لو كان مستقيمًا، أرأيت إلى أضلاع قفصك الصدري كيف تكون معوجة لتصون وتحمي أجهزتك الداخلية: القلب، والرئتين، والكبد وأعضاء الجهاز الهضمي وغيرها؟ وهل لو كانت هذه الأضلاع مستقيمة تستطيع القيام بهذه الوظائف المهمة للحفاظ على الحياة؟

وقس على ذلك خَلْق المرأة من الضلع ليكون لها الميزات والصفات نفسها للقيام بوظائف الرعاية والعناية، والعطف والحنان

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ١٤-١٥.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة.
(٣) سورة لقمان، الآية: ١١.

ليس للأبناء فحسب، بل وللزوج أيضًا ولكل من تتعامل معهم. أرأيت ماذا تفعل بيدك عندما تحمل طفلاً صغيرًا وتضمه إلى صدرك؟ إنك تَعوجها عليه كالضلع لتحفظه وتحميه من السقوط، ولو مددت يدك مستقيمة لوقع الطفل على الأرض وأُصيب وربما يموت. وزد على ذلك أن اعوجاج يدك وانعطافها عليه يحمل معاني العطف والحنان، والرأفة والشفقة.

فمن وظائف الضلع الأعوج: حماية الأعضاء، وحفظها، والتضحية لأجلها بتلقي الصدمات والضربات بالنيابة عنها. وهكذا هي المرأة مع الأعضاء المسؤولة عنهم.

أما صفة العوج التي في الضلع فلها في اللغة معانٍ متعددة اتصفت المرأة أيضًا بها:[1]

فمن معاني العوج: الحِنْوُ، ومحنية، والانحناء، وحَنَى يده يَحنيها حِناية أي لواها والظهر عطفه، وحناه حنوًا وحنَّاه أي عطفه فانحنى وتَحَنَّى انعطف، حَنِي وحنايا وحَنَت على أولادها حُنُوّاً أي عطفت كأحْنَت، ومنه الحنان.

وإذا راقبت المرأة فسوف تجدها تتصف بهذه الصفات فتراها تنحني على طفلها، وتحني يدها عليه، ومعظم الأعمال التي تتعلق برعاية الطفل والاعتناء به من إرضاع وتغيير للملابس والحفاظات

(١) انظر: القاموس المحيط، باب الواو والياء. فصل الحاء، وباب الفاء. فصل العين.

والاستحمام وغيرها تقوم بها وهي محنية الظهر منحنية على طفلها، وإذا غابت قليلاً عن طفلها حنَّت إليه.

ومن معاني العوج: العطف، ومنه العاطفة، وحَنَت على أولادها أي عطفت، وعَطَفَ يعطف أي مال إليه وعليه أشفق كتعطَّف، والعطوف الناقة تُعْطف على ولدها وتلزمه، وامرأة عطيف أي ليِّنة مِطواع لا كبر لها، وتعاطفوا عَطَف بعضهم على بعض، واستعطفه سأله أن يعطف عليه.

وهكذا طبيعة المرأة فهي عاطفية، عطوفة على أولادها، عطيف ليِّنة مطواع لزوجها، تعطف على كل من يسألها العطف، وهي أقوى عاطفة من الرجل.

ومن معاني العوج: الميل، ومال إليه ميلاً أي الإقبال على الشيء والاتجاه إليه بالعاطفة، والميلات اللاتي يُملن قلوبنا إليهن، أو يملن المقانع لتظهر وجوههن وشعورهن... وهكذا هو شأن المرأة أيضًا.

ومن معاني العوج: الحَدَب، وحَدِبَ، وتَحَدَّبَ به أي تَعَلَّقَ به وعليه تَعَطَّف، والمرأة أشبلت على ولدها أي أقامت عليه بعد زوجها ولم تتزوج.

إن جميع هذه الصفات وغيرها من الصفات الحسنة هي جزء لا يتجزأ من طبيعة المرأة وفطرتها وهي الأصل، ولكن الشيطان يستغل طبيعة المرأة وصفاتها خاصة عاطفتها القوية فيضلها عن

الحق ويطمس على صفات الفطرة الحسنة، فتظهر صفات سيئة للعوج، وتتجلى في خُلُقها وسلوكها وتصرفاتها. وبما أن تقويم الضلع ينتج عنه كسره إلى جزأين، فكذلك المرأة إن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها وحدوث الانفصال بين الزوجين.

ومن أجل أن يكون الرجال على بصيرة من هذا الإنسان الذي يتعاملون معه بصفة مستمرة، أخبر النبي ﷺ بأن المرأة لن تستقيم... لذا فهي تحتاج إلى فن في التعامل ودقة في التقويم، تشبه عمل الصائغ الذي يقوم بصقل قطعة ألماس ويخشى عليها الكسر أو الخدش. فيكون التقويم برفق لا يبالغ فيه فيكسرها ولا يتركها فتستمر على عوجها. ومن طمع باستقامتها فاته الاستمتاع بها لأن الاستمتاع بها لا يكون إلا مع عوجها، أي بالصبر على عوج أخلاقها، واحتمال ضعف عقلها عن عقله، والعفو عن زلاتها.

وإن ما يراه الزوج من عوج في امرأته مقارنة بنفسه فلعله لمصلحته هو بصفته زوجًا وقوَّامًا وسيدًا عليها. فقد يكون اعوجاجها ونقصان عقلها ودينها هو الذي يجعلها طوع يديه وتابعة له، وتعطف عليه وعلى أولاده وتقوم على خدمتهم حتى في حال مرضها، ولو قوَّم ما بها من عوج ونقصان لبعدت عن الأنوثة واقتربت من الذكورة ولتسلطت عليه وجعلته تابعًا لها، وعند ذلك سيجري في الطريق صارخًا ومستنجدًا بمن يستطيع أن يعيد إليها اعوجاجها ونقصانها.

ثم ألا يكفي أنها مع هذا الاعوجاج والضعف والنقصان قيل عنها: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[1]. فاستطاعت المرأة بكيدها أن تتسلط على زوجها كما هو واقع الأمر في كثير من البلدان خاصة في هذا الزمان، زمان ما بعد ظهور الوسائل الإعلامية المختلفة؟!

هي الضلع العوجاء لست تقيمها
ألا إن تقويم الضلوع انكسارها
تجمع ضعفًا واقتدارًا على الفتى
أليس عجيبًا ضعفها واقتدارها

المرأة عاطفية:

إن المرأة عاطفية جدًا، وعاطفتها أقوى من عاطفة الرجل، ومن هنا كان حنوها على أولادها أكثر من حنو الرجل أو أشد ظهورًا. ومن هنا -أيضًا- كان إثارة عاطفتها أسرع من إثارة عاطفة الرجل، وكان تأثر عاطفتها أقوى حالاً من تأثر عاطفة الرجل. وهي إذا خولفت أو نوقشت، أو نيل من صفة من صفاتها الخَلقية أو الخُلقية تغضب وتثور أسرع مما يفعل الرجل.

والقدرة العاطفية هي السمة الأساسية التي تتسم بها نفس المرأة. ذلك أن اتجاهات المرأة الفكرية والنفسية، وسلوكياتها وردود أفعالها، وميولها ورغباتها، إنما تنطلق بوجه عام من المنطلق

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٨.

الوجداني والعاطفي. والمشاعر العاطفية في المرأة العادية تمثل الحالة الطبيعية بالنسبة لها، والذي يندر أن تهجرها، وإذا هجرتها وجدت في نفسها مقاومة باطنية تنبع من أعماقها.

وتتجلى عاطفة المرأة، بصفة خاصة، عند التجارب المؤثرة، وفي شغفها الدائم والمستمر بأنواع الممارسات التي تبعث على الإشفاق أو الخوف أو الاشمئزاز، وفي الولوع بنشوة الإثارة والمخاطرة، حتى لو كان في هذا ما يبعث لديها شعورًا فيه مزيج من الخوف والرجاء. فالمرأة تشعر دائمًا بحاجتها الملحة إلى التعبير عن عواطفها الجياشة في كافة الاتجاهات، وعلى كل المستويات. وهذه السمة الجوهرية التي تتسم بها، تنشأ عنها سمات أخرى ذات أهمية بالغة، بالنسبة للمرأة ذاتها، وبالنسبة للمجال الذي تكون فيه.

ومن السمات المهمة التي تتسم بها المرأة وتعد ذات صلة وثيقة بالعاطفة:

أ- القدرة على التأثر بالإيحاء: وهي تستقبل المؤثرات الإيحائية وترحب بها أكثر من الرجل. وربما من هنا كانت استجابة المرأة لوسوسات الشيطان، واتباعها لخطواته أسهل عليه من الرجل، مما جعله يستخدم كثيرًا من النساء مصيدة له يصيد بها الرجال، كما في قوله ﷺ: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استَشْرَفَها الشيطان**» [1].

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٩٣٦.

ب- سرعة الاستجابة للدوافع: والدافع هنا عبارة عن (مؤثر قوي) يدفع الإنسان إلى القيام بسلوك يرمي إلى تحقيق غرض محدد. و (سرعة الاستجابة للدوافع) تتمثل في سرعة إدراكها، والانفعال بها، والاستجابة لها، ومن ثم اتخاذ السلوك الذي يؤدي إلى إشباعها.

ونستطيع أن نرى مثالاً واضحًا يكشف الغطاء عن (سرعة الاستجابة النسوية) في الأسلوب الذي تستسلم به كثير من النساء لشهوة مفاجئة، تدفعهن إلى شراء شيء يشاهدنه في نوافذ المحال التجارية، دون أن يحتجن إليه، ودون أن يكون لديهن فائض من المال، بل قد يكون بيتها في حاجة ملحة إلى المبلغ الذي دفع في هذا الشيء. ومعلوم لدى الجميع أن النساء هن أكثر الناس تأثرًا واستجابة للإعلانات التجارية في التلفاز أو غيره من الوسائل الإعلامية.

ج- سرعة التأثر العاطفي: وهناك سمة قريبة الشبه بسرعة الاستجابة للدوافع، وهي سرعة التأثر العاطفي، والخضوع الواضح للمشاعر العاطفية. وحين يترك زمام الأمور لسرعة التأثر العاطفي ولسرعة الاستجابة للدوافع، حينئذ تكون السيطرة والغلبة للمشاعر العاطفية؛ ومن ثم نستطيع أن نلاحظ صفات نسوية متعددة، مثل: تقلب المزاج، تغير الطبع، الرغبة في التنويع. وإذا كان تقلب المزاج من الأمور الشائعة لدى النساء، فينبغي الإشارة إلى أن هذا الأمر

ليس محصلة لطبيعتها العاطفية وحدها، بل يرجع أيضًا إلى التغيرات المتلاحقة التي تحدث في وظائف جسمها.

د- الرغبة في التنويع: أما عن الرغبة في (التنويع) فهي عبارة عن رغبة دائمة متجددة في رؤية وسماع وتجربة أشياء جديدة مختلفة. وهذه الصفة ترجع في أساسها إلى الطبيعة العاطفية التي تتلهف دائمًا إلى مؤثرات جديدة، خاصة تلك التي تتسم بكونها قوية وعنيفة. ومعظم النساء يقمن بحصر هذه الرغبة داخل دائرة معقولة بدافع من المنطق والإحساس بالواجب.

المرأة حساسة ومرنة:

كما أن جسم المرأة حساس ويتعرض لتغيرات متعددة، كذلك فإن المرأة حساسة نفسيًا وعقليًا. فهناك ترابط قوي ملموس بين التكوين الجسمي والوظيفي وبين التكوين النفسي والعقلي، فالجسم يؤثر في النفس، والنفس تؤثر في الجسم.

وما دام الأمر كذلك فلا بد أن يكون للحساسية والمرونة الجسميتين ما يماثلهما ويوازيهما في نفس وعقل المرأة. فالمرأة إذا كانت تنتابها حالات من التيقظ والنشاط، والإحساس بالقوة والحيوية، والرغبة في العمل، فهناك مراحل تحدث فيها حالات أخرى مغايرة، يهبط فيها العقل والشعور إلى مستويات دون المستوى الطبيعي. وتحصل الحالات الأولى في أثناء ارتفاع الموجة وعند بلوغها الذروة، وتحصل الحالات الأخرى المغايرة حين تبدأ الموجة

في الهبوط قبيل الحيض مباشرة، وفي أثناء النزف نفسه، وحين تصل الموجة إلى أدنى درجة.

فتظهر على كثير من النساء مظاهر النشاط والصحة، والمرح والابتهاج، ولكن تنتابهن مشاعر الضيق والانقباض في أثناء مرحلة الهبوط. وأمور مثل: العصبية، وعدم الانسجام، وسرعة التهيج، والميل إلى المشاجرة لأتفه سبب، والحساسية المرهفة، وتغيير الهدف فجأة، وكثرة تقلب المزاج، والتشبث بفكرة مفاجئة غير معقولة. مثل هذه الأمور تعد كلها من مظاهر التغيرات التي تمر بها كثير من النساء، مثل تغيرات الحيض، مع أن هؤلاء النسوة يكن طبيعيات في غير هذه المراحل.

والمرأة تدرك حساسيتها ومرونتها اللتين تميزان جسمها وعقلها. وهذا الإدراك يسبب لها شعوراً بالنقص أو بالضعف. وبطبيعة الحال يتفاوت هذا الشعور من امرأة إلى أخرى تفاوتًا ملحوظًا. وقد تحاول المرأة مقاومة مثل هذا الشعور، أو القضاء عليه، بما لها من مميزات أنثوية تجعلها محور اهتمام الرجل وعنايته.

المرأة والضعف والنقصان:

قال الله تعالى: ﴿**أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾[1]. وفسَّر ابن كثير هذه الآية بقوله: «أي المرأة ناقصة يكمل

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٨.

نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة، وإذا خاصمت فلا عبارة لها بل هي عاجزة وضعيفة... فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعنى فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه ليجبر ما فيها من نقص، كما قال بعض شعراء العرب:

وما الحِليُ إلا زينةٌ من نَقيصةٍ
يُتمِّمُ من حُسنٍ إذا الحُسنُ قَصَّرا
وأما إذا كان الجمالُ مُوَفَّرًا
كحُسْنِكِ لم يحتجْ إلى أن يُزَوَّرا

وأما نقص معناها فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار... لا عبارة لها ولا همة»[1]. قال قتادة: ما تكلمت امرأة ولها حجة إلا جعلتها على نفسها[2].

وقال تعالى: ﴿**وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ**﴾[3].

أمر الله عزَّ وجلَّ بالإشهاد مع الكتابة لزيادة التوثيق فيما يكون في الأموال وما يُقصد به المال. وإنما أقيمت المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة وقلة خبرتها في العقود المالية، ومن ثَم قد

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ١٣٥/٤.
(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤٨/١٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

تنقص شيئًا من الحق فيما تشهد به، فكان لا بد من إضافة امرأة مثلها إليها لاستدراك ذلك النقص... والحقوق لا بد من التثبت فيها والتحقيق... فإذا نسيت إحدى المرأتين الشهادة، تُذكِّرها الأخرى بما وقع به من الإشهاد[1].

وليس نسيان المرأة تفاصيل المعاملات التي هي من شأن الرجال عيبًا في نفسه، بل إنه مثل نسيان أو حتى جهل الرجل تفاصيل طريقة طهي الطعام الذي هو من شأن النساء، فلا جهل الرجل بالطبخ يعد نقصًا في عقله ولا جهل المرأة أو نسيانها أعمال الرجال يعد نقصًا في عقلها.

وليس اعتبار شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد دليلاً على أن المرأة تساوي نصف رجل. إنما هذا إجراء روعي فيه توفير كل الضمانات في الشهادة، سواء كانت الشهادة لصالح المتهم أو ضده، ولما كانت المرأة بطبيعتها العاطفية المتدفقة السريعة الانفعال، مظنة أن تتأثر بملابسات القضية (فتضل) عن الحقيقة، روعي أن تكون معها امرأة أخرى. وقد يكون المشهود له أو عليه امرأة جميلة تثير غيرة الشاهدة، أو يكون فتى يثير كوامن الغريزة أو عطف الأمومة. إلى آخر هذه العواطف التي تدفع إلى الضلال بوعي أو بغير وعي. ولكن من النادر جدًا حين تحضر امرأتان في مجال واحد، أن تتفقا

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣٤٣/١، والمرأة المسلمة ٩٣.

على تزييف واحد، دون أن تكشف إحداهما خبايا الأخرى فتظهر الحقيقة! [1].

إن نقصان العقل عند المرأة هو أمر قد أخطأ فهمه كثير من الرجال وكذلك النساء، حتى إن بعض الرجال يعيبون نساءهم ويذمونهن بأنهن ناقصات العقل! وهذا خطأ كبير، وظلم واحتقار للمرأة، وحاشا للنبي ﷺ أن يكون قد قصد ذلك في حديث نقصان العقل والدين؛ فقد قال ﷺ مخاطبًا النساء: «**يا معشر النساء تَصَدَّقن، فإني أُرِيتُكنَّ أكثر أهل النار**» . فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «**تُكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهبَ للُبِّ الرجل الحازم من إحداكن**» قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «**أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل**» ؟ قلن: بلى. قال: «**فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم**» ؟ قلن: بلى. قال: «**فذلك من نقصان دينها**» [2]. العشير: الزوج أو أعم من ذلك. واللب: العقل.

وفي معنى الحديث يقول الشاعر جرير:

يصرعن ذا اللبِّ حتى لا حراك به
وهنَّ أضعف خَلْقِ الله أركانا

(١) محمد قطب: شبهات حول الإسلام ١٢١.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم.

obeikandl.com

قال ابن حجر في فتح الباري: «قوله «قلن: وما نقصان ديننا» ؟ كأنه خفي عليهن ذلك حتى سألن عنه، ونفس هذا السؤال دال على النقصان لأنهن سلمن ما نسب إليهن من الأمور الثلاثة - الإكثار والكفران والإذهاب - ثم استشكلن كونهن ناقصات. وما ألطف ما أجابهن به ﷺ من غير تعنيف ولا لوم، بل خاطبهن على قدر عقولهن، وأشار بقوله: «**مثل نصف شهادة الرجل**» إلى قوله تعالى: ﴿ **فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ** ﴾ لأن الاستظهار بأخرى مؤذن بقلة ضبطها وهو مشعر بنقص عقلها» [1].

لقد بيَّن رسول الله ﷺ سبب نقصان العقل والدين، وليس المقصود بذكر النقص في النساء احتقارهن أو لومهن على ذلك، لأن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل تشريع من الخالق، والحيض من أصل الخلقة وشيء كتبه الله على بنات آدم، والمرأة ناقصة عن الصلاة في الحيض ولكنها لا تأثم بتركها في زمنه... ولهذا رتب العذاب على ما ذُكر من اللعن والكفران وغيره لا على النقص[2].

والمرأة على عكس الرجل الذي لا يعاني من أي تغيرات جسمية تنعكس على نفسه وعقله، فهي في أيام الحيض ليست كما في غيرها. فدماغها يتعطل عن التفكير والتركيز. وجسمها يتكاسل عن العمل الصحيح. وتتوقف عن الصلاة والصيام وعن سائر العبادات.

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ١/٤٠٦.
(٢) راجع: المرجع السابق ١/٤٠٦-٤٠٧.

وتأخذ إجازة من الجماع. ولما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملَّكوا عليهم بنت كسرى، قال: «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**» [1].

فالمرأة - خاصة - في أيام الحيض والحمل والنفاس لا تصلح للإمارة أو للرياسة التي تتطلب اتخاذ قرارات حاسمة ومصيرية يترتب عليها مصير البلاد والعباد... وإذا ما تقرر اتخاذ قرار من هذه القرارات فلا يمكن أن يُطلب من الناس أن ينتظروا لأن رئيستهم حائض، أو أنها في غرفة الولادة، أو أنها لا تستطيع التركيز هذه الأيام لأنها نفساء بعد الولادة وتبكي بلا سبب... ولا بد أن الذين يرضون أن تحكمهم امرأة قد أدركوا هذا الأمر؛ ولذلك أحاطوها بعشرات الوزراء والمستشارين والخبراء الذين يفكرون بالنيابة عنها ويصيغون القرارات اللازمة بحيث لا يبقى عليها سوى التوقيع، بل حتى التوقيع يمكن أن يقوم به الرجل الذي جعلوه نائبها زيادة على وزرائها.

والخلاصة أن عقل المرأة ليس ناقصًا في ذاته بل هو كامل ولكنه ناقص عن الأكمل وهو عقل الرجل، ولهذا إذا قورن عقل المرأة بعقل الرجل بان اختلاف عقلها ونقصه عن عقل الرجل. وهذا من محاسن المرأة لا من عيوبها، وهو ميزة من ميزات الأنوثة. فلو كان عقلها مساويًا لعقل الرجل لفسد الاستمتاع بها وانتفت أنوثتها وجمالها لأن الرجل حينئذ لن يجد معه زوجة وإنما ندًّا له لن يرضى بالقوامة عليه، ولأصبحت القوامة والسلطة في البيوت بيد

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر.

المرأة لا بيد الرجل. وهي بالرغم من نقصان عقلها عن الرجل استطاعت في كثير من الحالات السيطرة والتسلط على رجلها... فضلاً عن أنها مع هذا النقصان في العقل عن الرجل تجدها أحيانًا أرجح عقلاً وأصوب رأيًا من كثير من الرجال.

أما عن ضعف المرأة فقد قال رسول الله ﷺ: «**إني أُحَرِّجُ عليكم حق الضعيفين: اليتيم، والمرأة**» [1]. أوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالمرأة وقرن بينها وبين الطفل اليتيم فهي ضعيفة كالطفل. ونهى ﷺ عن قتل النساء والصبيان في الحروب؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**وُجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان**» [2]، أما النساء فلضعفهن، وأما الصبيان فلقصورهم عن فعل الكفر.

ولما خرجت الخوارج بالأهواز، أخذوا امرأة فهمُّوا بقتلها؛ فقالت لهم تحتج بالآية: أتقتلون من يُنشَّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين؟! فأمسكوا عنها. وفي حوادث الخطف أو الأسر نجد أن أول من يطلقون سراحهم هم الأطفال والنساء ومعهم أيضًا الشيوخ؛ لأن جميعهم ضعفاء، ولو جاء لص ليسرق أحد البيوت وقيل له: إن في البيت عشرة نساء لما جعله ذلك يعدل عن الدخول للسرقة ولما عمل حسابًا لهؤلاء النساء، بل ربما يُسَرُّ بهذا الخبر

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٤٤٧.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب قتل النساء في الحرب.

لمرض في قلبه، ولكن لو قيل له: إن هناك تسعة نساء ورجلاً واحدًا لحسب فورًا حساب الرجل دون النساء، ولعدل عن سرقة البيت بسبب وجود هذا الرجل.

ومن المعروف من خلال التجربة والملاحظة أن شجاعة المرأة أدنى من شجاعة الرجل، وإقبالها على المخاطر وورود ظلمات الطريق وغياهب الأمور أقل من الرجل. وهي ضعيفة جدًا عند المحن والمصائب، وتلوذ بالرجل عند أدنى شعور بالخوف. فعادة المرأة أن ترود الطريق الذي راده الرجل، وأن تسير في الطريق وراء الرجل، وأن تأتي من الأعمال ما تعرف وما سُبقت إليه من قبل. وهذا يتفق مع وظيفة المرأة في الحياة، فهي بنت الرجل وزوجته، والعادة أن تكون له القوامة وتحمل المسؤولية، وأن تكون هي المأمورة المطيعة، وهي أم الأولاد الذين يربون على وتيرة مقاربة في الحياة، ليس فيها مغامرة ولا هجوم على المجهول.

والمرأة ضعيفة الإرادة... وإرادتها أضعف تماسكًا من إرادة الرجل... فما أكثر ما تريد المرأة، وما أكثر ما تنسى ما تريد وتعرض عنه إلى غيره. وما أسرع ما يتغير مرادها، وما أسرع ما تتراجع عنه. وهذا أيضًا مما يتفق مع وظيفتها في الحياة، فإن صلتها بزوجها صلة التابع بالمتبوع، أو المطيع مع المطاع، ولو كان لها الإرادة الصامدة التي لا تتأخر أو تتغير لربما أدى ذلك إلى الصدام بينها وبين زوجها. وهذا ما يحدث مع النساء المترجلات اللاتي ابتعدن

عن الأنوثة الطبيعية عندما ينازعن رجالهن ويتمردن عليهم ويحاولن مصادرة قوامتهم وسلطتهم التي منحهم إياها الخالق عزَّ وجلَّ.

ثم إن صلتها بأولادها صلة الحب والحنان والعطف والرفق، والأولاد يغلب عليهم العواطف على العقل، والاستجابة للنزوات والغرائز - وليست كلها شرًا - فلو كانت أمهم صاحبة الإرادة الصارمة والرأي الذي لا يتغير، والحزم الذي لا يأذن بغير التعقل، لربما أدَّى ذلك إلى النفور، أو حرمان الأولاد من رابطة العاطفة الحية، والمحبة التي تفوق كل شيء سواها.

المرأة وكفران العشير والإحسان:

قال رسول الله ﷺ: «**وأُريت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع. ورأيت أكثر أهلها النساء**». قالوا: بمَ يا رسول الله؟ قال: «**بكفرهن**». قيل: يكفرن بالله؟ قال: «**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيراً قط**»[1]. وخاطب عليه الصلاة والسلام النساء فقال لهن: «**يا معشر النساء تَصَدَّقن، فإني أُرِيتُكنَّ أكثر أهل النار**». فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «**تُكثرن اللعن، وتكفرن العشير**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب كفران العشير وهو الزوج، وكتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم.

قال ابن حجر: أطلق لفظ النساء فعم المؤمنة منهن والكافرة... لأن منهن من يكفر بالله ومنهن من يكفر الإحسان... والمراد بكفر الإحسان تغطيته أو جحده، ويدل عليه آخر الحديث. قوله «**لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله**» بيان للتغطية المذكورة... والدهر: المراد منه مدة عمر الرجل أو الزمان كله مبالغة في كفرانهن، وليس المراد بقوله: «**أحسنت**» مخاطبة رجل بعينه، بل كل من يتأتى منه أن يكون مخاطبًا، فهو خاص لفظًا عام معنى. قوله: «**شيئًا**» التنوين فيه للتقليل، أي شيئًا قليلاً لا يوافق غرضها من أي نوع كان[1].

فهذا أمر واقع ومعروف أنه يأتي زمان على المرأة تجحد فيه ما يجود به زوجها عليها من الفضل والإكرام والإحسان، حتى ولو أحسن إليها طوال حياتها، ولبى لها جميع مطالبها، واشترى لها كل ما تشتهيه وترغب به سواء كانت في حاجة إليه أم لم تكن، فقد تقول له ما نبأنا به رسول خالقها وفاطرها ﷺ. فعاطفة المرأة تغلب عقلها وتجعلها تستغرق في لحظتها الحاضرة التي رأت فيها من الرجل شيئًا فينطلق لسانها بهذه الكلمة الجاحدة، وتنسى ما قبلها من الإحسان والعشرة الحسنة. يقول المتنبي في معنى ذلك:

(فمن عهدها ألا يدوم لها عهد)

فالمرأة تتقلب باستمرار وتميل مع الهوى وتنسى في لحظة واحدة عِشرة الزوج وإحسانه إليها على مدى السنين الطويلة.

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٥٤٢/٢.

ومن الأمثلة الطريفة التي تُهوِّن هذا الأمر على الزوج قصة (امرأة) تزوجها ملك... وقد بلغ حبه إياها أنها لم تشتهِ شيئًا إلا حقق أمنيتها به. ومن غرائب قصصه معها أنها كانت تهوى منظر الثلوج البِيض تكسو قمم الجبال وسفوحها، وتمنت يومًا لو يبقى منظر الثلج في الربيع، فما كان من زوجها الملك إلا أن أمر فغُرس سفح الجبل المشرف على القصر بشجر اللوز، فلما حلَّ الربيع إذا بتلك الأشجار تتفتح عن تيجان بِيض يخيل إلى الناظر إليها من بعيد، كأن السفح قد كلل بالثلج.

ومن طرائف أخبار الرجل معها أنها شاهدت يومًا بعض النساء يمشين في الطين والوحل، وقد كشفن عن سوقهن، فاستهواها منظرهن واشتهت المشي في الطين، وصارحت زوجها الملك برغبتها، فما كان منه إلا أن أمر بالكافور والمسك والعنبر وماء الورد فعُجنت بالأيدي حتى أصبحت كالطين وفُرشت في ساحة القصر وهنا خرجت المرأة وجواريها وخضن في ذلك الطين... وكان يومًا مشهورًا يُضرب به المثل في التبذير والإنفاق عن السعة فيُقال: (ولا يوم الطين).

ويُحكى أنه في أحد الأيام غضبت المرأة من زوجها الملك فأقسمت أنها لم تر منه خيرًا قط... فقال لها متعجبًا ومستفسرًا: ولا يوم الطين؟! فاستحيت واعتذرت.

وبمثل ما تجحد المرأة الفضل والإحسان في لحظة انفعال... فكذلك تتهم زوجها بالبخل وهو أيضًا من كفران العشير... فمعظم

النساء يأتي عليهن زمان يرون فيه أن أزواجهن بخلاء، وقليل من ينجو من هذه التهمة حتى وإن كان ممن قال الله تعالى فيه: ﴿ **وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** ﴾[1].

لأن الأساس الذي تستخدمه الزوجة في اتهام زوجها بالبخل يختلف عن الذي يستخدمه الرجال لإطلاق صفة البخل على أحد من الناس. فهناك تساهل كبير عند المرأة في شروط تهمة البخل بحيث يمكن أن ينطلق لسانها بهذه التهمة لأتفه الأشياء. وغالبًا يرتبط اتهام الزوجة لزوجها بالبخل بعدم شرائه لها ما ترغب... ولو تأملنا جيدًا في هذا الأمر لوجدنا أن المرأة ضعيفة وعاطفية وعاطفتها تجعلها تستخدم هذه التهمة بكثرة دون أن تنتبه إلى أن اتهامها لزوجها بالبخل يدل على وجود صفة لديها لا تقل قباحة عن صفة البخل ألا وهي صفة الطمع، خاصة عندما يكون سبب تهمة البخل شيئًا زائدًا على حق المرأة في النفقة. فاتهامها لنفسها بالطمع دون أن تشعر دليل على ضعفها وتقديم عاطفتها على عقلها، والضعيف أحوج إلى أن يُصبَر عليه لا أن يُنتَقم منه.

والمرأة نادرًا أو قليلاً ما تتهم زوجها بالبخل في وجهه، بل تكتم ذلك في صدرها، أو تسر ذلك إلى غيرها من النساء من أهلها أو صديقاتها... بل لا بد أحيانًا من اتهام زوجها بالبخل أمام النساء

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦-٢٧.

لتبرير الأمور التي تتعلق بملابسها أو بأثاث البيت أو غير ذلك.

وعند وقوع خلاف بين الزوجين فهناك احتمال في أن تستخدم المرأة تهمة البخل وإظهار نفسها مظهر المظلومة المحرومة؛ وذلك لكسب عطف الناس وضمان وقوفهم بجانبها ضد زوجها... أما إذا لاحت في الأفق دلائل على احتمال وقوع الطلاق فإن احتمال استخدامها لتهمة البخل يصبح أقوى...

والمرأة غالبًا لا تأخذ في الحسبان آيات قرآنية تنهى عن التبذير، وأن المبذرين كانوا إخوان الشياطين، أو تنهى عن أن يبسط الإنسان يده كل البسط في الإنفاق فيقعد ملومًا محسورًا قد أنفق فوق طاقته، أو أحاديث نبوية تنهى عن الإسراف، أو مبادئ معينة تفرض على الرجل عدم شراء أشياء بعينها لكونها تعد من الإسراف والتبذير، أو لسبب آخر قد يكون لتجنب الأضرار الصحية لتلك الأشياء أو غير ذلك من الأسباب الوجيهة، فالمهم عندها أن يسارع الرجل إلى الشراء دون تردد، فالمرأة تؤمن بأن كل شيء تطلبه هو من الضروريات وليس من الكماليات.

وهي تستقل ما تحصل عليه عند زوجها حتى ولو كان أكثر بكثير من الحق الذي أوجبه الإسلام على الزوج كما في قول النبي ﷺ حين سأله رجل عن حق الزوجة على زوجها: «**أن تُطْعِمَهَا إذا طَعِمْتَ،**

وتكسوها إذا اكتسيت» [1]. ومن المعروف أن المرأة غالبًا تحصل على أكثر من هذا الحق خاصة فيما يتعلق بالكسوة التي تكون أكثر عددًا من كسوة الرجل... فالشكوى من قلة النفقة هي من طبيعة المرأة.

وعلى العموم لا يهولن الرجل إذا سمع تهمة البخل مباشرة من زوجته، أو علم أنها تُروِّج عنه هذه التهمة عند الآخرين، أو أنها تستقل ما يقدم لها من النفقة وتطالبه بالمزيد... ولكي يهون عليه أمر هذه التهمة الباطلة فليعلم أن زوجته ليست خيرًا من زوجات النبي ﷺ وأمهات المؤمنين... فقد طالبنه بالنفقة، واجتمعن حوله يسألنه ذلك، وتوجه أبو بكر وعمر ليضرب كل واحد منهما ابنته من زوجات النبي ﷺ، أي عائشة وحفصة، فنهاهما النبي ﷺ عن ذلك، فأمر الله تعالى الرسول ﷺ أن يُخيِّر أزواجه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل. فقال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [2]. فاختارن الله ورسوله والدار الآخرة رضي الله عنهن أجمعين.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٨٧٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨-٢٩.

بل يجب أن يعلم الرجل ما هو أعظم من ذلك، وهو أن الله تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا قد اتُهم بهذه التهمة من قِبَل اليهود المغضوب عليهم، قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...**﴾[1]. يقول ابن كثير: «يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة بأنهم وصفوه تعالى عن قولهم علوًا كبيرًا بأنه بخيل كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء، وعبروا عن البخل بأن قالوا: ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ...**﴾ قال ابن عباس: (مغلولة) أي بخيلة... وقال: لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة، ولكن يقولون بخيل يعني أمسك ما عنده بخلاً، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا»[2].

فلا أحد بعد الله تبارك وتعالى يمكن أن ينجو من تهمة البخل، ولا أحد بعد رسول الله ﷺ يمكن أن ينجو من شكوى قلة النفقة على الزوجة. وهو إن نجا من تهمة البخل المتعلقة بالمال فلا بد أن يُتهم بالبخل في جانب آخر من جوانب حياته مع زوجته، لأن كفران العشير والإحسان من طبع المرأة ويصعب النجاة منه. وهذا أعظم تسلية للزوج لكي يصبر ولا يغضب ولا يحزن فيما لو اتهمته زوجته بالبخل.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٢/٧٨.

وكما تبين من قبل بأن منشأ تهمة البخل عند المرأة قد يكون عدم شراء الزوج لها ما تريد أو ما تشتهي، والمرأة أحيانًا قد تشتهي أشياء ثمنها دراهم معدودة... فقد تشتهي فاكهة ما، أو صنفًا من الحلوى خاصة (الشوكولاته)، بل ربما (سندويتشة)... فلا يتردد أبدًا في شرائها، بل إذا طلبت زوجته واحدة فليشتر لها اثنتين، ولا ينتظر منها أن تصفه بالكرم، بل يفعل ذلك لوجه الله تعالى، وقد قال النبي ﷺ: «**ما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة**»[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت بها حتى اللقمة تجعلها في فِي امرأتك**»[2].

المرأة فتنة:

قال رسول الله ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال، من النساء**»[3]. ليس هناك فتنة أكثر ضررًا على الرجال من المرأة... فجسدها فتنة، ووجهها فتنة، وصوتها فتنة، وحركاتها فتنة، ورائحتها فتنة، وحليها فتنة، وكل شيء فيها فتنة حتى صوت حذائها... إن أقوى الأقوياء لا يستطيع أن يقاوم جمال امرأة، ولا أن ينتصر على إغرائها... فالمرأة بأسلحتها المتعددة أقوى من الرجل، مهما توهم الرجل أنها الجانب الأضعف.

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٥٥٣٥.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الوصية.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة.

وأسلحة الفتنة عند المرأة كثيرة وتستخدم في كل معركة تخوضها ما يناسبها من الأسلحة لتحصل على ما تريد، وتحقق رغبتها المتأججة في صدرها.

ومن هذه الأسلحة:[1]

سلاح الدموع، فهي ذات قدرة عجيبة على إرسال الدمع مدراراً إذا وقعت في مأزق، أو طلبت شيئًا عسير المنال. كما يقول بعض السلف: يشتكين وهن الظالمات.

ومنها سلاح التمنع والدلال، إذا كانت تريد أن تثير في الرجل غرائزه وعواطفه. كما قيل: ويتمنعن وهن الراغبات.

ومنها سلاح التبرج والسفور، إذا أرادت أن تكون محط أنظار الرجال، وموضع إعجابهم، ومثار اهتمامهم.

ومنها سلاح التمارض، إذا شاءت أن تهز في الرجل مشاعر العطف والشفقة والرحمة.

ومنها سلاح الابتسامة، إذا أرادت أن تستحوذ على الرجل، وتسيطر عليه.

ومنها سلاح الخداع، إذا أزمعت أن تخون الرجل، وتضحك عليه، وتهزأ به.

ومنها سلاح الكلمات المعسولة، إذا رغبت أن توقع الرجل في شرك غرامها.

---

(١) مستفاد من: (فتنة النساء) لعبد المنعم قنديل ٢٧.

ومنها سلاح الاستفزاز، إذا سولت لها نفسها أن تنتقم من أحد.

كل هذه الأسلحة وغيرها فتنة؛ لأن من معاني الفتنة الإحراق. والمرأة تستطيع أن تحرق الرجل بهذه الأسلحة المختلفة. وتستطيع أن تفعل الكثير بها.

والمرأة فتنة لنفسها ولزوجها ولمجتمعها:

أما فتنتها لنفسها فهي تجعل شغلها الشاغل العناية بزينتها ووقوفها أوقاتًا طويلة أمام المرآة لكي تصفف شعرها، وتدهن وجهها بالمساحيق، وتلون خديها، وتصبغ شفتيها، وحواجبها، وتكحل عيونها ورموشها، وتطلي أظفار أصابع يديها ورجليها. وتعدل هندامها. وتتحلى بالذهب في أذنيها، ورقبتها، وساعديها، وأصابعها. وتدور ذات اليمين وذات اليسار وهي تنظر إلى نفسها في المرآة من الأمام ومن الجانب ومن فوق كتفيها لترى إن كان منظرها لائقًا من جميع الاتجاهات. فالبيئة المنحرفة عن الفطرة السليمة قد علمتها أن الأنظار سوف تُصوَّب إليها من جميع الاتجاهات، وحتى تصيب الأنظار هدفها ولا تُردُّ خاسئة وهي حسيرة فعليها أن تكون في أجمل شكل وأحلى زينة... فكم من الأوقات تضيع بسبب ذلك، وكله من عمرها عدا ما تنفقه من المال على الملابس والزينة وأدوات التجميل؟!.

وأما فتنتها لزوجها فإنها تكلفه ما لا يطيق، وبخاصة إذا كان من ذوي الدخل المحدود الذين لا يكفي دخلهم إلا نفقاتهم الضرورية

جدًا، فهي تريد أن تكون مساوية في المظهر لغيرها من نساء المجتمع الذي يضم الفقراء وأصحاب الدخل المتوسط والأثرياء. فالمرأة تحب التقليد والمحاكاة، والتقليد والمحاكاة نزعة كامنة في نفسها، تطفو إلى السطح كلما حركتها المثيرات.

والمرأة لا تطلب من زوجها أن يسرق أو يأخذ الرشوة ولكنها تُلح عليه باستمرار بمطالب تكون فوق طاقته فلا يجد أمامه بدًا من السرقة أو الاختلاس أو قبول الرشوة أو سلوك سبل ملتوية غير شرعية لتحقيق هذه المطالب. وقد مرَّ رسول الله ﷺ على النساء فقال لهن: «**يا معشر النساء تصدقن، فإني أُريتُكن أكثر أهل النار**». فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «**تُكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الرجل الحازم من إحداكن**»[1]. ويظهر أن من جملة أسباب كونهن أكثر أهل النار أنهن سبب لإذهاب عقل الرجل الحازم، فيفعل أو يقول ما لا ينبغي، فيشاركنه في الإثم ويزدن عليه. واللب أخص من العقل وهو الخالص منه، والحازم الضابط لأمره، وهذه مبالغة في وصفهن بذلك، لأن الضابط لأمره إذا كان ينقاد لهن فغير الضابط أولى... وفيه التنبيه على ذلك تحذيرًا من الافتتان بهن... وقد قال بعض الحكماء عن المرأة: ومع أنها ناقصة العقل والدين، تحمل الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم.

وحمله على التهالك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد[١].

ولهذا يقول النبي ﷺ: «**واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[٢]. ومعناه تجنبوا الافتتان بالنساء، وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن، وأكثرهن فتنة الزوجات لدوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن[٣]. قالت النساء يخاطبن الرجال: كلكم بطل ما لم نراوده!.

ويقول ﷺ: «**ولولا حواء لم تَخُن أنثى زوجها**»[٤]. «فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة، وحسنت ذلك لآدم، عدَّ ذلك خيانة له. وأما من جاء بعدها من النساء، فخيانة كل واحدة منهن بحسبها. وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن، فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل الندور. وينبغي لهن أن

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٤٠٦/١، ١٣٨/٩.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الرقاق، باب بيان الفتنة بالنساء.
(٣) النووي: شرح صحيح مسلم ٥٥/١٧.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته.

لا يتمكَّنَّ بهذا في الاسترسال في هذا النوع بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن»[1].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[2]. وهذا العدو ليس شرطًا أن يكون عدوًا لذاته وإنما عدوًا بفعله، فإذا فعلت الزوجة فعل العدو كانت عدوًا[3]. وقد قدم الله عداوة الأزواج على عداوة الأولاد. فعداوتهن أشد من عداوة الأولاد في حال العداوة، وخطرهن أعظم... فالزوجة تطَّلع على معظم أسرار الزوج وخصوصياته، وعند الخلاف بينهما تصبح هذه الأسرار من أمضى الأسلحة التي يمكن أن تدمر بواسطتها مستقبل زوجها بكامله، أو تشوه صورته، أو تسيء إلى سمعته، انتقامًا لنفسها أو للكيد به للوصول إلى مآربها... فالمرأة لا تبالي أبدًا في إفشاء أسرار زوجها عند وقوع الخلاف. فلسانها عضو خفيف الحركة يكشف الحجاب عن كل سر، ويزيل النقاب عن خفايا الحياة الزوجية وما ينبغي أن يظل خافيًا عن الناس.

كما أن من عداوة المرأة لزوجها أنها تلهيه عن العبادات والأعمال الصالحة فقال تعالى: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أي على دينكم. ولا

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٣٦٨/٦.
(٢) سورة التغابن، الآية: ١٤.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٣/١٨.

فعل أقبح من الحيلولة بين العبد والطاعة؛ فالمرأة قد تحمل الزوج على قطيعة الرحم أو معصية ربه، فلا يستطيع الرجل مع حبه لها إلا أن يطيعها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾[1]. فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، والالتذاذ بهن أكثر.

يقول القرطبي: «بدأ بهن لكثرة تشوف النفوس إليهن، لأنهن حبائل الشيطان وفتنة الرجال. قال رسول الله ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال، من النساء**». ففتنة النساء أشدُّ من جميع الأشياء. ويقال: في النساء فتنتان، وفي الأولاد فتنة واحدة. فأما اللتان في النساء فإحداهما أن تؤدي إلى قطع الرحم؛ لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات. والثانية يُبتلى بجمع المال من الحلال والحرام. وأما البنون فإن الفتنة فيهم واحدة، وهو ما ابتُلي بجمع المال لأجلهم»[2].

وأما فتنتها للمجتمع، فمنها أن المرأة تحب اجتذاب الرجل إليها بشتى الوسائل، وتتلهف دائمًا على أن تكون في دائرة اهتمامه، ومحط أنظاره، ومثار إعجابه، ومادة حديثه، ومحرك عواطفه؛ لأنها قد خُلقت من الرجل، فهِمَّتها في الرجل، وخُلِق في الرجل الشهوة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٠.

وجُعلت المرأة سكنًا له، فكل واحد منهما غير مأمون على صاحبه... كما قال الشاعر:

لا تأمنَّ على النساء ولو أخًا
ما في الرجال على النساء أمينُ
إن الأمين وإن تعفَّف جهده
لا بد أن بنظرة سيخونُ

واستغل الشيطان وهو أول من سنَّ (نزع اللباس) والتعري نقطة الضعف هذه عند المرأة، فبدأ يوسوس لها كما وسوس من قبل لأمها حواء، فزيَّن لها بأن السبيل الوحيد للوصول إلى هدفها وإشباع رغبتها هو الإغراء والتبرج والسفور والعري...

إن الحياء والعفة من الطباع الأصيلة في الأنثى، وهي مفطورة على التستر لا على التكشف، كما قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ** ﴾[1] أي عندما بدت لآدم وحواء عورتهما أسرعا إلى ورق الشجرة يقطعانه ويلزقانه ليستترا به، وفيه دليل على قبح كشف العورة، وأن الله أوجب عليهما الستر، وأن الله فطر الإنسان على الحياء من التعري وانكشاف عورته؛ ولذلك ابتدرا إلى سترها. حتى إن من لم يجد ما يستر به عورته إلا ورق الشجر لزمه أن يستتر بذلك، ولا

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.

يتعرى الإنسان أو يتكشف إلا بفساد في فطرته؛ لأن العري فطرة حيوانية ولا يميل الإنسان إليه إلا وهو ينتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان[1]، والله تعالى أكرم بني آدم بالأنواع الكثيرة التي لا تحصى من الألبسة، وقال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ** ﴾[2].

ومع ذلك استطاع الشيطان أن يجعل الكثير من النساء يتعرَّين مع وفرة الألبسة؛ لأنه سيظل ماضيًا في سنته التي كشفها لنا ربنا سبحانه وتعالى، فقال عزَّ وجلَّ محذرًا وناهيًا: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا** ﴾[3]. فسنَّة الشيطان وخطته منذ آدم وحواء هي (نزع اللباس) أو (التعري)؛ لأن العري هو أقوى معول لإفساد الأمم والشعوب ولهدم الأخلاق، ومن ثم الدين في نفوس الناس... ومن الطبيعي أن يكون تركيز الشيطان على المرأة لاتباع سنته في نزع الملابس؛ لأنها مطلوبة وجسمها مطلوب، وهي الفتنة الأضر على الرجال... ولا يزال في كل عصر ومصر من يتولى تنفيذ سنَّة (نزع الملابس) الشيطانية وخطة التعري التدريجي[4].

---

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١١٦/٧-١١٧، وسيد قطب، في ظلال القرآن ١٢٧٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٤) راجع كتاب: (التعري الشيطاني) للمؤلف.

ولهذا فهو يوسوس إلى المرأة لتنزع لباسها أو لتتبع سبيل الإغراء بكل وسائله، وهو يلعب بها كما يلعب الطفل بالكرة، ويجعلها لا تتورع عن القيام بأعمال متضاربة. فمرة تخرج من بيتها وهي تلبس الطويل، ومرة القصير، ومرة الواسع، ومرة الضيق الذي يعصر جسمها عصرًا ويجعل أعضاء جسمها تشكو من الاختناق وعدم التهوية... ومرة تكشف عن صدرها، ومرة عن ساقيها، ومرة عن ظهرها، ومرة عن كتفيها... ومرة تعلن ولاءها للإناث فتلبس لبسة المرأة، ومرة تعلن ولاءها للذكور وتتشبه بهم فتلبس لبسة الرجل... ومرة تصفف شعرها فوق رأسها، ومرة تسدله على كتفيها، ومرة تلفه خلف رأسها، ومرة تضع نصفه على وجهها وتغطي به إحدى عينيها وتنظر بعين واحدة، ومرة تتركه طويلاً مثل النساء، ومرة تقصه قصيرًا مثل الرجال[1]... وكأن عليها أن تتصرف كإنسان غريب الأطوار لأجل أن تبقى فتنة تُذهب عقل الرجل، وتسيطر على قلبه.

ولهذا فإنه إذا ما رُفعت المراقبة عن المرأة من قبل أولياء أمورها وتُركت على سجيتها وحريتها فإن الشيطان سيرحب بهذه المبادرة الطيبة بالنسبة له، وسيتسلم دفة توجيه المرأة بدلاً من

(١) إذا كان التزين مطلوبًا من المرأة أمام زوجها ليستمتع بمنظرها ويشتهيها، فإن ذلك يدل على شناعة ما تفعله المرأة حين تخرج من بيتها في مثل هذه الزينة فتجعل الرجال الأجانب يشاركون زوجها في الاستمتاع بمنظرها وربما اشتهوها أيضًا كما يشتهيها زوجها، وهذا أمر محتمل جدًا وليس بوسع الزوج أو الزوجة منعه.

أولياء أمورها، وأول ما سوف يوجهها إليه هو التبرج والسفور والكشف عن الصدور والظهور، والأفخاذ والسيقان... وهكذا انقلبت الأمور رأسًا على عقب، وصار الرجال يستحيون أكثر مما تستحي النساء، ويسترون من أجسامهم أكثر مما تستر النساء. والواقع المشاهد في الطرق والأماكن العامة وعلى شواطئ البحار هو أقوى دليل على ذلك. فما يجوز للرجل كشفه من ساق أو ذراع أو صدر أو ظهر نراه مستورًا، وما يجب ستره من هذه الأعضاء عند المرأة نراه مكشوفًا، مع أن الحياء الأنثوي الأصلي يقتضي العكس، ولكنه من تلبيس إبليس وأوليائه من الإنس ممن لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت... الذين يروجون أنه من الضروري للأنثى أن تتغلب على حيائها، والتغلب على الحياء لا يكون إلا باتباع سنة الشيطان في نزع الملابس، فإذا كشفت المرأة عن لحمها قل حياؤها، وإذا قل حياؤها صنعت ما تشاء، وقلة الحياء لا تأتي إلا بشر كما أن «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[1].

ولا بد أن من نادى وينادي بحرية المرأة قد توصل إلى هذه الحقيقة وعلم أن الحرية للمرأة تعني في النهاية تعريتها أمامه، وهذا ما يريده الرجل من أجل متعته هو... والواقع أيضًا يؤكد ذلك، حيث إن النساء اللاتي أُعطيت لهن الحرية ليفعلن ما يشأن

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الحياء.

ويتصرفن كما يحلو لهن لم يتجهن ليصبحن عالمات أو مكتشفات أو داعيات للدين والأخلاق أو غير ذلك من معالي الأمور... بل لم يحل لهن سوى أن يكشفن عن أعضاء أجسادهن؛ لأنهن أصبحن ضحايا لسنَّة (نزع الملابس) الشيطانية الجنية، وضحايا لخطوط (الموضة) الشيطانية الإنسية، وهكذا يتكاتف شياطين الجن والإنس، ويتعاونون على تعرية النساء في كل مكان.

وما دام شياطين الجن والإنس متربصين للمرأة لينزعوا عنها ملابسها ليروا سوءتها ويروها للناس، فلا بد لأولياء أمورها أن يحموها منهم ويرأفوا بها فلا يتركوها فريسة سهلة لهؤلاء الشياطين، ولا بد من فرض الضوابط الدينية والاجتماعية والأخلاقية عليها لمنع شياطين الجن والإنس من التسلي بنزع ملابسها وتعريتها... فقد أصبح بالإمكان قياس مقدار التزام أي امرأة بهذه الضوابط بمقدار المساحة المستورة من جسمها، ومقدار عدم التزامها بمقدار المساحة المكشوفة... وبناء على ذلك يجب أن لا نستغرب عندما نسمع أن النساء اللاتي رُفعت عنهن كلية هذه الضوابط والقيود في بلاد غير المسلمين أخذن في الظهور على شواطئ البحار وأندية التعري وغيرها عرايا تمامًا كإناث الحيوان...!.

وهكذا يمارس الشيطان دوره في استغلال المرأة وجعلها مصيدته التي يصيد بها الرجال، فهي سهمه الذي يرمي به فلا

يُخطئ... فرسول خالقها ﷺ يخبرنا أن: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[1]، قال العلماء: فالشيطان يوجه أنظار الرجال إليها، ويدعو إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بنظرهن وما يتعلق بهن... ويستنبط من هذا أنه ينبغي لها أن لا تخرج بين الرجال إلا لضرورة وأنه ينبغي للرجل الغض عن ثيابها والإعراض عنها مطلقًا[2].

وطبع الرجل يميل إلى المرأة، ورُكِّب فيه طلبها والبحث عنها، فهو يقع في الحرام لأجلها، ويسعى للقتال والعداوة بسببها، وأقل ذلك أن يتكالب على الدنيا في سبيل الحصول عليها أو إرضائها، فهي أضر فتنة على الرجال... قال طاوس في قوله تعالى: ﴿**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾ قال: إذا نظر إلى النساء لم يتمالك. وقال قتادة في قوله سبحانه: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾ قال: هو الصبر عن النساء. قال سعيد بن المسيب: ما يئس الشيطان من وليٍّ قط، إلا أتاه من قِبل النساء. وكان سعيد قد بلغ بضعًا وثمانين سنة وكان يقول: ما أمسيت أخاف على نفسي إلا النساء[3]. وإذا كان الله عزَّ وجلَّ قد خلق الرجل والمرأة ويعلم ما ينفعهما وما يضرهما، فإنه سبحانه لم يستأثر بهذا العلم في علم الغيب عنده فيرتكب الرجل والمرأة ما يضرهما عن غير قصد بسبب جهلهما بهذا العلم، بل

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٩٣٦.
(٢) النووي: شرح صحيح مسلم ١٧٨/٩ (بتصرف).
(٣) محمد بن أحمد التجاني: تحفة العروس ومتعة النفوس ٣١-٣٢.

أنزل الله تعالى القرآن الذي يوضح فيه هذه الأمور، ونهى فيه عما يمكن أن يجلب الشر والضرر؛ فلهذا أمر الله تعالى المرأة أن تقرَّ في بيتها ولا تخرج إلا لضرورة، ونهاها عن التبرج وإبداء الزينة، فقال تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**﴾[1] وقال جلَّ شأنه: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ** - إلى قوله - **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾[2] وأمرها بالحجاب وعدم الاختلاط بالرجال الأجانب: فقال تعالى: ﴿**يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ**﴾[3] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾[4].

وفي هذه الأوامر حفظ للرجال من التعرض كثيرًا للمثيرات، وحفظ للمرأة أيضًا من نظرات الرجال والشباب الجوعى جنسيًا، وحفظ لكرامتها وعفافها وعرضها وحماية لها حتى لا تكون سببًا في فتنة الرجال التي قد تجعلها هدفًا للأذى والسوء والفحشاء وربما الجريمة، فتدفع جسمها أو روحها ثمنًا لفتنتها... ويعلم الخالق الصانع أن هذا أطهر لقلوب الرجال ولقلوب النساء، ولا يستطيع أحد من المخلوقين مهما كان أن يدَّعي أنه أعلم بالخَلْق من الخالق.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) سورة النور، الآية: ٣١.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.
(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

ولم يقتصر الأمر على جسم المرأة، بل إن العليم الخبير بما خلق أَمَر المرأة بأمر آخر يتعلق بصوتها ونبرتها؛ لأنه تعالى يعلم أن صوت المرأة يهيج الشهوة، وينبِّه الغريزة الجنسية عند الرجال إذا أسيء استخدامه، فدرءًا للفتنة أمرها بعدم إساءة استخدام صوتها، فأمرها بعدم الخضوع بالقول إذا خاطبت الرجال. والخضوع يكون بترقيق الكلام وترخيمه والزيادة فيه لغير الحاجة... حتى لا تثير الشهوة الجنسية عند الرجل الذي تخاطبه، فربما في قلبه مرض الفسق والغزل أو مرض حب الزنا فيطمع في الزنا بها أو بغيرها إن كان الوصول إليها غير ممكن. قال تعالى: ﴿**فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾[1].

وحتى لا يقع الرجال ضحية تبرج المرأة أمرهم الله بغض البصر عنها، فقال تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ**﴾[2] وقال رسول الله ﷺ: «**يا علي، لا تُتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة**»[3]. فالبصر باب إلى القلب، وبسببه يكون السقوط، فوجب غضه عن كل ما يُخشى الفتنة من أجله. فالله أعلم بما يمكن أن يحدثه النظر إلى المرأة في قلب الرجل، إذ مجرد النظرة الأولى أو

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.
(٢) سورة النور، الآية: ٣٠.
(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٨٨١.

الفجائية قد تقلب الرجل من حال إلى حال... من سكون الشهوة إلى شدة هيجانها، ومن حال السمو بالتفكير إلى تخدير الدماغ والتفكير بالشهوة وقضائها، إلى غير ذلك من الأمور... فما بالك بما هو أكثر من النظرة الأولى الفجأة؟!.

حتى إن رسول الله ﷺ، كان جالسًا ذات يوم مع أصحابه، فدخل بيته، ثم خرج وقد اغتسل، فسُئل عن سبب ذلك، فقال ﷺ: «**مرت بي فلانة، فوقع في قلبي شهوة النساء، فأتيت بعض أزواجي، فأصبتها، فكذلك فافعلوا، فإنه من أماثل أعمالكم إتيان الحلال**»(١). وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه**»(٢).

فالنبي ﷺ قد رأى امرأة وحاشا له أن يكون قد نظر إليها نظرة شهوة، وإنما هي نظرة الفجأة التي ليس بمقدور الإنسان أن يتجنبها، ومع ذلك فقد أوقعت هذه النظرة السريعة الخاطفة شهوة النساء في قلب النبي ﷺ فترك مجلسه بين أصحابه ودخل إلى زوجته ليواقعها ليرد ما في نفسه مما وقع فيها من الشهوة، وقد فعل ذلك عليه الصلاة والسلام لتقتدي به أمته في الفعل وتمتثل

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم: ٢٣٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته.

أمره بالقول. فإذا كان هذا هو حال رسول الله ﷺ مع نظر الفجأة فلا أحسب أن أحدًا من البشر سيقول: إنه أكثر ورعًا وتقوى من النبي ﷺ وإنه أقوى منه على مقاومة الشهوة الجنسية التي يمكن أن تقع في القلب بواسطة النظر سواء الفجائي أو المتتابع... لأن مجرد إلقاء الحجر في المياه الساكنة يجعلها تمتلئ بالدوائر والاهتزازات... وإذا كان المتزوج يمكن أن يواقع زوجته ليرد ما في نفسه مما وقع فيها من فتنة النظر إلى المرأة فماذا يفعل الأعزب بهذه الفتنة وأين يذهب بها؟!.

وكما أمر الله الرجال بغض البصر عن النساء أمرهم كذلك بعدم التعامل معهن إلا من وراء حجاب، فقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾[1]. أي لا تنظروا إليهن ولا تسألوهن حاجة إلا من وراء حجاب، وهذا الإجراء أطهر لقلوبكم وقلوبهن «من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال؛ أي ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية. وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له؛ فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته»[2]. وعندما يقول خالق الرجل والمرأة: ﴿ **ذَلِكُمْ أَطْهَرُ**

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.
(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٤٦.

﴿لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾، فلا أحسب أن أحدًا من المخلوقين يمكنه أن يقول: إن قلبه أطهر من قلوب الصحابة رضي الله عنهم، أو إن قلبها أطهر من قلوب أزواج النبي ﷺ وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين.

ولم يقتصر الأمر الإلهي بغض البصر على الرجال دون النساء، فأمر الله النساء كذلك بغض البصر عن الرجال فقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ... ﴾[1]، وذلك لأن الخالق تبارك وتعالى يعلم مقدار فتنة المرأة للرجل، ويعلم أنها إذا نظرت إليه فقد تُفتن أو يدعوها ذلك إلى إبداء زينتها له لإثارته وفتنته خاصة إذا رأت أنه ينظر إليها... وهو تعالى يعلم ما يمكن أن تجره فتنتها على الرجل خصوصًا وعلى المجتمع عمومًا من المصائب والويلات... وفيما يلي بعض منها [2]:

- حلول الزنى والسفاح محل الزواج الشرعي.
- فساد الأسرة وانهدام العائلة وتفشي الطلاق.
- شيوع الفواحش وسيطرة الشهوات.
- ترك الواجبات الدينية.
- انهيار الاقتصاد.
- انتشار العادات السيئة.

(١) سورة النور، الآية: ٣١.
(٢) راجع: خطر التبرج والاختلاط لعبد الباقي رمضون ٨٠.

- ظلم المواليد والأطفال.
- شقاء الرجل والمرأة على السواء.
- الإساءة إلى المرأة بالذات.
- الانهيار الخلقي الشامل.
- تفشي الأمراض الجنسية الخبيثة.

وقد قيل: إن معظم قضايا الجرائم وغيرها في دوائر الأمن يكون سببها في النهاية: المرأة. وفي أحيان كثيرة لا يظهر أن للمرأة علاقة بالقضية، ولكن عند التعمق والبحث والتفتيش عن الأسباب والدوافع المتخفية تظهر المرأة وهي قابعة هناك بعيداً... وربما هذا هو سبب القول المشهور: (فتِّش عن المرأة).

ومن أحسن الأدلة التي يمكن الإشارة إليها بهذه المناسبة هو القضية التالية: قال الله تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[1].

(١) سورة المائدة، الآيات: ٢٧-٣٠.

فنحن الآن أمام جريمة قتل حدثت بين أخوين ولا يظهر لنا أن للمرأة علاقة بهذه الجريمة من قريب أو بعيد... بل إن أول ما يظهر لنا أن سبب القتل هو قبول قربان أحدهم وعدم قبول قربان الآخر... ولكن إذا جئنا نفتش ونتعمق أكثر في هذه القضية لوجدنا أن السبب والدافع الذي جعل الأخ يقتل أخاه هو المرأة. كيف؟!.

فمن خبرهما أن الله تعالى شرع لآدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال، وكان يولد لآدم في كل بطن ذكر وأنثى فكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر، وذكر هذا البطن لأنثى البطن الآخر... حتى ولد له ابنان يقال لهما هابيل وقابيل. وكان قابيل صاحب زرع، وكان هابيل صاحب ضرع، وكان قابيل أكبرهما، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل فأبى عليه وقال: هي أختي ولدت معي، وهي أحسن من أختك، وأنا أحق أن أتزوج بها... فأمره أبوه أن يزوِّجها هابيل فأبى. وإنهما قرَّبا قربانًا إلى الله عزَّ وجلَّ: (أيهما أحق بالجارية). وكان آدم عليه السلام قد غاب عنهما... فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب قابيل وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي. فقال هابيل: إنما يتقبل الله من المتقين[1].

فهكذا نجد أن أول فتنة حدثت للرجل كانت من المرأة ونتج عنها إخراجه معها من الجنة... ثم أول جريمة قتل حدثت على وجه

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٢/٤٣.

الأرض، كان سببها امرأة. فصار قابيل بسببها من الخاسرين بل صار كما قال رسول الله ﷺ: «**لا تُقتَلُ نفس ظُلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْل من دمها، لأنه أول من سن القتل**»[1]. فسُنَّة القتل الذي ينتشر في جميع أرجاء الأرض، قد سنَّها رجل بسبب امرأة!.

المرأة عدوة نفسها:

قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ...**﴾[2].

عندما نتأمل في هذه الآيات الكريمة سنلاحظ عدة أخلاق ذميمة موجودة عند النساء عامة وهي: الغيبة، والذم، وإشاعة الفاحشة، وإفشاء السر؛ لأنه قيل: إن امرأة العزيز (زليخا) أطلعت هؤلاء النساء واستأمنتهن فأفشين سرها، فسمي ذلك مكرًا... ونتجاوز عن أخلاق نسوة المدينة إلى أخلاق امرأة العزيز، حيث سنلاحظ خُلُقين ذميمين: الأول: وهو المكر، وقد سبق أن قيل لها

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته.
(٢) سورة يوسف، الآيات: ٣٠-٣٢.

في آية سبقت هذه الآيات: ﴿ ...إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[1]؛ «والكيد: المكر والحيلة... وإنما قال (عظيم): لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من ورطتهن. [وقيل:] «إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾، وقال: ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾»[2].

أي إن البهتان والقذف وإظهار خلاف ما في الباطن من جملة كيدكن أيتها النساء. وقيل لها ذلك لأنها قالت لزوجها: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا... ﴾[3]، فافترت على يوسف واتهمته بأنه راودها عن نفسها في حين الحقيقة أنها هي التي راودته عن نفسه فامتنع؛ وهذا هو الخُلُق الثاني؛ أي: إظهار خلاف ما في الباطن وخلاف الحقيقة.

وقد تكرر ذلك من زليخا في دعوتها لنسوة المدينة؛ حيث دبرت لهن مكيدة فأظهرت أنها دعوة إلى الطعام وأخفت الحقيقة وهي استدراج هؤلاء النسوة لإيقاعهن فيما وقعت فيه، وعندما جلسن إلى المائدة وأعطت كل واحدة منهن سكينًا، قيل: إنها قالت لهن: لا تقطعن ولا تأكلن حتى أعلمكن؛ ثم طلبت من خادمها أن يدعو يوسف عليه السلام، فلما اقترب يوسف قالت للنساء: اقطعن ما معكن.

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٨.
(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١١٥/٩.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٥.

وقالت ليوسف: ﴿**اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ فجعلن يقطعن أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن ما بأيديهن من الطعام وما وجدن ألمًا في القطع والجرح لشغل عيونهن وقلوبهن بيوسف، ودهشتهن وحيرتهن لحسن وجهه وجمال خَلْقه؛ وهنا تيقنت زليخا من نجاح مكيدتها وخطتها التي رسمتها بعناية فائقة، وبعدما رأت افتتانهن فيه أظهرت عذر نفسها وقالت تلومهن: ﴿**فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ...**﴾.

وكان رسول الله ﷺ قد قال ذات يوم للنساء: «**إنكن صواحب يوسف**»[1] وصواحب جمع صاحبة، والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن...

ومعلوم أن الغيبة والبهتان وإشاعة الفاحشة وإفشاء الأسرار والمكر... كلها أخلاق ذميمة تعود على صاحبتها بالخسران وتؤذيها أكثر مما تؤذي غيرها، وهذا ليس إلا عداوة للنفس. وهل هناك عداوة للنفس أشد من أن تمكر المرأة مكرًا سيئًا وتجتهد في ذلك أيما اجتهاد، وكله في النهاية سيعود عليها، ويحيق بها كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**﴾[2]؟! أي؛ وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم؛ وكما قال النبي ﷺ: «**المكر والخديعة في**

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

النار»[1]؛ «يعني في الآخرة تدخل أصحابها في النار؛ لأنها من أخلاق الكفار لا من أخلاق المؤمنين الأخيار... وفي هذا أبلغ تحذير عن التخلق بهذه الأخلاق الذميمة، والخروج عن أخلاق الإيمان الكريمة»[2]. ولهذا كان بعض السلف ينادي النساء أحيانًا: يا عدوات أنفسكن!.

وقول النبي ﷺ: «**إنكن صواحب يوسف**» له معنى آخر ذكره النووي فقال: «أي في التظاهر على ما تردن، وكثرة إلحاحكن في طلب ما تردنه وتملن إليه»[3].

ويصف الشاعر الجاهلي طفيل الغنوي طبع النساء فيقول:

إن النساء متى يُنهين عن خُلق
فإنه واجب لا بد مفعول

فالمرأة تميل إلى فعل ما تُنهى عنه، وغالب ما تُنهى عنه المرأة مضر لها وليس في مصلحتها مستقبلاً، وإن كان يظهر لها أنه مفيد في لحظتها، ولكن بحكم طبيعة المرأة العاطفية فإنها لا تنظر إلى ما وراء لحظتها فلا يتبين لها مضار الفعل الذي تُنهى عنه. وكذلك تخالف ولها منفعة في الطاعة، لأن المخالفة هوى والمنفعة تفكير وبحث وروية، وما زال الهوى في نفس المرأة أقوى سلطانًا من التفكير.

والمرأة تميل إلى المخالفة والرغبة في الممنوع، ثم إغواء الغير

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٦٧٢٥.
(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٣٠.
(٣) النووي: شرح صحيح مسلم ٤/١٤٠.

لموافقتها على ذلك منذ أن كانت المرأة حواء في الجنة... فقد نهى الله عزَّ وجلَّ آدم وحواء عن الأكل من الشجرة، فقال تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا منْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾[1].

يقول القرطبي: «يقال: إن أول من أكل من الشجرة حواء بإغواء إبليس إياها... وإن أول كلامه كان معها لأنها وسواس المخدة، وهي أول فتنة دخلت على الرجال من النساء؛ فقال: ما منعتما هذه الشجرة إلا أنها شجرة الخلد، لأنه علم منهما أنهما كانا يحبان الخلد، فأتاهما من حيث أحبا - (حبك الشيء يعمي ويصم) - فلما قالت حواء لآدم أنكر عليها وذكر العهد؛ فألح على حواء وألحت حواء على آدم، إلى أن قالت: أنا آكل قبلك حتى إن أصابني شيء سَلِمْتَ أنت؛ فأكلت فلم يضرها، فأتت آدم فقالت: كل فإني قد أكلت فلم يضرني؛ فأكل فبدت لهما سوآتهما وحصلا في حكم الذنب»[2].

و«عن ابن عباس قال: لما أكل آدم من الشجرة قيل له: لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: حواء أمرتني»[3].

ليس الرجال فحسب يعلمون هذه الحقيقة عن النساء، بل إن كثيرًا من النساء يعلمنها أيضًا عن أنفسهن... فكم تلح المرأة على

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/٢١٠ - ٢١١.
(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٢/٢١٥.

أمر وهو في غير مصلحتها؟! وكم تصر على الحصول على شيء لن يسبب لها إلا الخسارة؟! وكم تختار القليل وتفوِّت على نفسها الكثير؟! وكم تعاند ويكون هلاكها في عنادها؟! وكم تُلزم نفسها بأمور سيئة هي في غنى عنها؟! والمرأة حين تغضب، وبخاصة إذا كانت مفرطة الحساسية، توقد نار الفتنة في البيت، وقد يكون سبب الغضب تافهًا... ولكن بعض النساء يكبرن الأشياء ويجعلن من الحبة قبة، ويبالغن في الأمور ويقمن الدنيا ويقعدنها بسبب شيء هين صغير. ومعروف عن المرأة أنها تغطي الخطأ الصغير بما هو أكبر منه بمرات فتحصل المصائب الكبيرة، وربما تدفع المرأة حياتها ثمنًا لذلك؛ وفي ذلك كله عداوة المرأة لنفسها دون أن تقصد ذلك، بل تحسب أنها تحسن صنعًا.

فبداية بأمهن حواء التي ألحت على آدم للأكل من الشجرة وأكلت منها، ولم يكن ذلك في صالح نفسها بل كان ذلك سببًا في خروجها مع آدم من الجنة وهي خسارة وأي خسارة...؟!.

وامرأة نوح زوجة نبي ورسول من أولي العزم، ومع ذلك لم تنتفع به وبدعوته لتنجو معه في السفينة من الطوفان ولتكون من أصحاب الجنة، بل فضلت أن تهلك غرقًا مع الكافرين... فكم كانت امرأة نوح عدوة نفسها؟! وامرأة لوط كذلك التي بدلاً من أن تؤمن بزوجها النبي وتواليه لتنجو معه من العذاب كانت تتجسس عليه وتوالي قومها الظالمين. وعندما جاءت الملائكة إلى منزل لوط وهم

في أجمل صورة تكون على هيئة شبان حسان الوجوه خرجت امرأته فأخبرت قومها الذين كانوا يأتون الذكران من العالمين، فجاؤوا مسرعين ومهرولين من فرحهم بذلك... فكانت عاقبة أمر هذه المرأة خسرًا، إذ هلكت مع قومها الفاسقين... فكم كانت امرأة لوط عدوة نفسها؟!.

فكل واحدة من هاتين المرأتين كانت تحسب أنها تحسن صنعًا، على أن الحقيقة أن كل واحدة منهما كانت عدوة نفسها وجلبت لنفسها ما لا يجلبه لها إلا أكثر الناس عداوة لها... فأصبحتا مثلاً للذين كفروا لتتعظ كل امرأة بهما فتوالي زوجها إن كان من الملتزمين بالدين، ولا توالي أهلها وقومها المنسلخين من الدين والمرتكبين للفواحش والمعاصي والآثام. قال الله تعالى: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ** ﴾[1].

وإذا نظرنا جئنا ننظر إلى النساء بالمنظار الشرعي نجد أن قليلاً جدًا من النساء اتعظن بمن سبقهن، أما أكثر النساء فما زلن يعادين أنفسهن وهن لا يشعرن! وأمثلة عداوة المرأة لنفسها كثيرة جدًا ولكن هذه بعضها:

(١) سورة التحريم: الآية: ١٠.

فمنها: عدم الالتزام بالدين وتنفيذ ما أمر الله به من: الصلاة والصيام والزكاة والحجاب وغيرها من العبادات... ونتيجة ذلك معلومة في الكتاب والسنة.

ومنها: الاستسلام لغواية الشيطان وتزيينه واتباع أعوانه من شياطين الإنس بارتكاب ما نهى الله عنه من: التبرج والسفور والخلوة والاختلاط بالأجانب وغيرها من المنهيات... وإغواء زوجها لموافقتها على ذلك، كمثل حواء في الاستسلام لغواية الشيطان ثم إغواء آدم بذلك.

ومنها: معاداة حزب الله وأهل الحق وإن كان زوجها منهم، وموالاة حزب الشيطان وأهل الباطل، كمثل امرأة نوح وامرأة لوط.

ومنها: أنها قد تكون لامعة الذهن وذكية، رائعة وقادرة وناجحة في أشياء كثيرة، إلا أنها تستسلم للغيرة لتبطش بها ولتجعلها كأنها متخلفة عقليًا، مجنونة، كل سلوكها يتميز بإيذاء نفسها وهزيمتها... ترتكب الحماقات من أجل أن تجرح زوجها وتضايقه، وبالرغم من أنها تعلم تمامًا أنها ستفقده بهذا الأسلوب إلا أنها تندفع وتتمادى ولا تستطيع أن تمنع نفسها لأنها أصبحت عدوة نفسها.

ومنها: عدم أداء ما عليها من حقوق شرعية للزوج.

ومنها: تفضيل خسارة الزوج كاملاً بالطلاق على الرضا بزواجه من أخرى.

والأمثلة على ذلك لا حصر لها... فيا لها من عداوة للنفس حين ينطبق على المرأة أحد هذه الأمور أو نحوها! ولا أدري لماذا تكره المرأة نفسها وتناصبها العداء إلى هذا الحد؟! لا شك أن التربية الفاسدة البعيدة عن منهج التربية الإسلامية، وكذلك البيئة المحيطة من الأهل والصديقات، وعلى نطاق أوسع المجتمع كلهم يشتركون في إبعاد المرأة عن فطرتها السليمة، وإخفاء هذه الحقيقة عنها وتزيينهم لها أن هذه الأمور هي لمصلحتها، وهي حب لنفسها وصداقة وليس عداوة...!.

ولكن ماذا ستكون نتيجة عداوة المرأة لنفسها في الآخرة؟ إنها ستكون بالتأكيد كما أنبأنا رسول رب العالمين ﷺ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: «**وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء**»[1]، «**واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»[2]. والذي زاد الطين بلَّة أن أولياء أمور المرأة فرطوا في حقها عليهم بوقايتها من النار، وتركوها تسبح وحيدة في هذا البحر الخضم وتواجه أمواجه المتلاطمة العاتية مع ضعفها في السباحة بصفتها أنثى.

المرأة تلتمس عون الرجل وحمايته:

إن شعور المرأة بأنها رقيقة، مرنة، شديدة الحساسية، يؤثر فيها تأثيرًا كبيرًا، لدرجة أنه يوقظ فيها الرغبة في التماس عون

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ٨٧.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب كفران العشير.

الرجل وحمايته. وإضافة إلى هذا العامل هناك عوامل أخرى تجعل المرأة تلتمس عون الرجل وحمايته، منها:

أ - أن الرجل أقدر منها على الصمود ومقاومة المشاعر المؤقتة.

ب - قدرة الرجل على التفكير والسلوك بعيدة عن دائرة تأثير كل من المرونة والحساسية الجسمية.

ج - وظيفة العقل الأساسية عند الرجل لا تتوقف، على عكس المرأة. بالإضافة إلى أن وظيفة العقل الثانوية التي تسيطر على المرأة تجعلها تشتهي الاتفاق والمصالحة والمهادنة، وذلك وفقًا لفطرتها.

د - طبيعة الأشياء جعلت الرجل هو الذي يحمي المرأة طوال مراحل التاريخ البشري، وهو الذي يهتم بها، ويقوم على أمرها هي وأبنائها.

فالمرأة تعتمد على الرجل في صيانتها، وحمايتها، وإعاشتها، نتيجة سماتها الحسية المميزة. وهي تطلب منه الأمان، وتلتمس منه الحماية وتتطلبها، وترغب في الاعتماد عليه، لأن شعورها الملهم الراقي ينبئها بأن أسباب هذا الاعتماد إنما تقوم على أسس طبيعية فطرية. ومهما بلغت المرأة من الغنى والجاه فإنها تظل بحاجة إلى أمان الرجل، لأنه أمان من نوع خاص يملأ مكانًا خاصًا في نفسها لا يمكن للمال مهما بلغ ولا الجاه مهما عظم أن يملأ هذا المكان أو يعوضها عن أمان الرجل الذي هو حاجة فطرية في خَلْق الأنثى الطبيعية.

وأذكر بهذه المناسبة قصة عارضة أزياء شهيرة تحتل صورها أغلفة المجلات وتظهر في التلفاز باستمرار ويتسابق الصحفيون لإجراء المقابلات معها والتقاط صورها، وتملك عشرات الملايين من المال والعقارات وغيرها... ولما سُئلت عن سبب انفصالها عن زوجها قالت: لم أشعر معه بالأمان. فكل أموالها وشهرتها لم تغنها عن أمان الرجل، ولمَّا وجدت أنها لا تشعر بالأمان مع هذا الزوج انفصلت عنه لتبحث عن رجل آخر يمنحها الأمان المطلوب.

والأنثى بطبيعتها تظل تنشد الرعاية والحماية من الذكر في جميع مراحل حياتها... فهي في مرحلة الطفولة تكون تحت رعاية الأب وحمايته، ثم عندما تتزوج تصبح تحت رعاية الزوج وحمايته، ثم عندما تكبر في السن تصبح تحت رعاية الابن وحمايته...

المرأة ترغب في الخضوع والاستسلام:

قال الله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾[1]. لقد خلق الله عزَّ وجلَّ الرجال والنساء، وفضَّل الرجال على النساء في بعض الأمور وزادهم عليهن درجة، فقال تعالى: ﴿**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾[2]. وخلق الله في الرجل من الصفات ما يجعله قوَّامًا على المرأة أي رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها. وخلق في المرأة من الصفات ما يجعلها خاضعة للرجل

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

وتابعة له. وأوجب عليها حق الزوج وطاعته وقبول أمره ما لم يكن معصية، وحرَّم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والإفضال، وجعل الزوج جنة المرأة ونارها بحسب طاعتها له أو معصيتها إياه.

والأنثى الطبيعية بلا شك تحب الخضوع لرئاسة الزوج والانقياد له والتأدب بآدابه والاعتماد على مسؤوليته، حتى إنها تحب أن ترى فيه مثَلَها الأعلى في جانب من الجوانب، إما في القوة البدنية، أو في الشجاعة، أو في التضحية والإيثار على النفس، أو في التفوق الذهني، أو حتى في طريقة الكلام واستخدام العبارات، أو في أي صفة حسنة أخرى... وهي تسعد بذلك وتُسر؛ لأنه يوافق طبيعتها وفطرتها التي فطرها الله عليها.

ورغبة المرأة في الاعتماد على الرجل ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالرغبة في الخضوع والاستسلام. ولعل أقرب دليل على ذلك هو أن الملامسة الحسية تتضمن عددًا من المؤثرات القوية التي تستدعي خضوع المرأة للرجل واستسلامها له، لدرجة أن رغبة المرأة في الملامسة ترتبط لديها بالميل إلى الخضوع والاستسلام.

ورغبة المرأة في الخضوع والاستسلام تنشأ من رغبتها في القوة والسيطرة، ولكنها تشعر بهذه الرغبة مقلوبة سلبية. وإذا كانت الرغبة في (الخضوع والاستسلام) تناقض الرغبة في (القوة والسيطرة)؛ إلا أنهما تتمشيان معًا في إحساس المرأة، فتؤلف

بينهما اضطرارًا من حيث تريد أو لا تريد؛ لأن التناقض سمة لا بد منها في تكوين الذات الأنثوية في ألزم لوازمها.

فهي تشتهي الخضوع والاستسلام بكل روحها وكيانها، ولكنها تتطلع إلى القوة والسيطرة. ولا تلبث إن عاجلاً أو آجلاً (وعادة أول الأمر) في الصراع لكسب القوة والسيطرة... فإما أن تمحو شخصية زوجها إذا كان ضعيفًا... وإما أن تدفعه إلى مواجهتها والثورة عليها إذا كان قويًا... وقد يدفع ذلك بزوجها القوي إلى الانتقام منها بالسعي إلى غيرها أو بطلاقها... ولكنها إذا انتصرت تموت حياتها الوجدانية بموت شخصية زوجها، ويحيط بها الضجر والفراغ العاطفي... وتفقد الشيء الذي تحتاج إليه أشد الاحتياج، وهو حماية الرجل وكفالته ورعايته. وفوق ذلك تكون قد فقدت أخصب مصدر لتحقيق السعادة لديها. ذلك أن أسعد ساعات المرأة عامة هي الساعة التي تظفر فيها بالرجل الذي تستكين إلى بأسه وتشعر بغلبته. ولا سعادة لها مطلقًا مع الرجل الضعيف؛ لأنه -أولاً وقبل كل شيء- رجل غير موفور الرجولة؛ ومن ثم لن يستطيع أن يحقق لها غرض الأنوثة الأقوى، ولا غرض للأنوثة أقوى من الظفر بالأقوياء من الرجال.

وإذا كان من المعلوم لدينا جميعًا أن هناك ألعابًا يخسر فيها الفائز، فالأمر هنا لا يختلف عن هذا كثيرًا؛ إذ إن المرأة التي تكسب في مباراة الحصول على القوة والغلبة، وتفوز بها دون زوجها، هي في الواقع خاسرة. ولن يستطيع الزوجان أن يربحا معًا إلا إذا تمكن

الرجل وحده من السيطرة. أما إذا كسبت المرأة السيطرة، فكلاهما سيغدو خاسرًا. ولكن خسارة المرأة ستكون أكبر؛ لأنها فقدت كل شيء بانتصارها! ولن تجد شيئًا يعوضها عن تلك الخسارة التي أدى إليها ذلك النصر المشؤوم! وستغدو مثل هذه المرأة شاعرة بكل المشاعر البائسة نتيجة فقدانها للملاذ والسند والدعامة التي كانت تتشدها في شريكها، وسينبعث في نيتها سوء الظن بذلك الرجل الذي سمح لنفسه أن ينهزم أمامها، وسوف تحمل في نفسها احتقارًا شديدًا له!.

وقد حكى لي أحد الشيوخ قصة امرأة تقدمت إلى القاضي بطلب الطلاق، فلما سألها عن السبب، قالت: إن زوجي لا يقول لي (لا) أبدًا، فقال لها القاضي: وماذا في ذلك، فهذا ما ترغب به بعض النساء؟! فتابعت حديثها فقالت بأنها تريد رجلاً يستطيع أن يقول لها: (لا)، وهي قد اختبرت زوجها في أمر معين كان يجب أن يقول لها فيه: (لا)، ولكنه لم يقل: (لا) بل قال: (نعم) حاضر!.

ولهذا فإن الأنثى الطبيعية لا تحترم الرجل الذي يخضع لها ويستسلم لقيادتها، بل إنها تحتقره بما أودع في فطرتها من الخضوع والاستسلام للرجل. وهي تستاء أشد الاستياء من الرجل الضعيف عديم الفاعلية، بقدر ما تعجب أشد الإعجاب بالرجل الشجاع ذي الشخصية القوية، صاحب التأثير، والقادر على اتخاذ القرار المناسب، وعلى إبداء معالم القوة على تباين أشكالها وتنوعها من مجتمع إلى آخر، ومن حضارة إلى أخرى.

المرأة ذات طبيعة تقبلية:

ومن السمات البارزة لدى المرأة أنها ذات طبيعة (تقبلية)؛ فإذا كانت من الناحية الجنسية تمثل القطب السالب الذي يستقبل النطفة المنوية، فهي من الناحية الوجدانية تميل إلى أن تكون الموضوع المعشوق الذي يحظى بالإعجاب. وهذا يفسر لنا ميلها الفطري إلى التزين، وإلى أن تبدو في أجمل صورة وأبهى منظر؛ حتى تصير موضوعًا قابلاً لأن يُعشق ويُحَب.

وسمة (التقبلية) التي تتسم بها المرأة موجودة أيضًا في تكوينها العقلي؛ حيث إنها تميل إلى تقبل المعرفة، وتأبى طبيعتها عليها أن تسلك طريقًا جديدًا إيجابيًا بالمعنى الكامل. والدليل على ذلك أن المستقري لتاريخ الفلسفة والعلم لا يجد نساء فيلسوفات أو عالمات، وإذا وُجدت من يمكن أن تلقب بالفيلسوفة أو العالمة فهذا من قبيل الاستثناء الذي لا بد منه. ومن المقرر أن الموازنة تجري على الأغلب الأعم، وعلى القاعدة التي تشيع وتعمم في جميع الأحوال، ولا عبرة بالاستثناء الذي يأتي من حين إلى حين إلا من حيث دلالته على القاعدة التي يخالفها.

المرأة صاحبة حدس وإلهام:

إذا كان الرجل يستخدم المنطق العقلي كأداة للمعرفة، فإن المرأة بطبيعتها تستخدم الحدس والإلهام. والحدس عبارة عن معرفة لدنية فطرية يستطيع الإنسان عن طريقها أن يدرك الحقائق بغير

الطريق الحسي وبغير إعمال الفكر أو التذرع بالشواهد والدلائل والمقدمات المنطقية. إنه عبارة عن معرفة يستشف بها الإنسان الحقيقة مباشرة دون أي استخدام للبرهنة والاستدلال، وهو بهذا أشبه بالرؤية المباشرة والإلهام.

وقد أكد علم النفس أن الحدس من السمات الإنسانية الأكيدة التي تساهم في أعمال المرأة أكثر مما تساهم في أعمال الرجل. فالمرأة في أحلامها التي تراها في منامها تكون أصدق مما يراه الرجل. والمرأة في يقظتها تكون في حالة من الشفافية تسمح لها بالمعرفة المباشرة التي لا تعتمد على الحس أو التجارب أو الاستدلالات، مما يجعلها تتمتع بسمة كم هي عظيمة!.

المرأة سكن ومودة ورحمة:

قال الله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾[2].

إن الحياة الإنسانية وإعمار الأرض بالبشر قائم على الشركة بين الرجل والمرأة، وقد جعل الخالق كلاً من الجنسين مفتقرًا إلى

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.

الآخر، مكملاً له، بحيث تحصل السعادة والسرور ويتحقق الخير والصلاح باجتماع هذين الجنسين.

ومثلما أن الصحة نعمة عظيمة لا يعرف قدرها إلا المريض، فكذلك السكن والمودة والرحمة نعمة عظيمة لا يعرف قدرها إلا من يفتقدها... والمرأة حين يجعلها الله سكنًا للزوج فهي نعمة عظيمة أيضًا لا يعرف قدرها إلا من كان بلا زوجة.

فالرجل يعرف مشاعره تجاه المرأة... وصلته بالمرأة تشغل أعصابه ومشاعره... وقد جعل الله في هذه الصلة سكنًا لنفس الرجل وأعصابه، وراحة لجسمه وقلبه، واستقرارًا لحياته ومعاشه، وأنسًا لروحه وضميره... فالمرأة تلبي حاجات الرجل الفطرية: النفسية والعقلية والجسدية، بحيث يجد عندها الراحة والطمأنينة والاستقرار، ويجد في اجتماعه بها السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة... لأن تركيب المرأة النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغبة الرجل[1].

فلا سكن للرجل إلا مع المرأة، ولا مودة ورحمة وألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين. ولهذا كان من أكبر الأعمال التي يمكن أن يقوم بها الساحر هو التفرقة بين هذين الروحين مع ما بينهما من الخلطة والائتلاف، كما قال تعالى عن الذين يتعلمون

(١) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ٢٧٦٣.

السحر: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾[1].
والتفرقة بين زوجين هي، أكبر شر، وأعظم فتنة تقوم بها الشياطين كما أخبرنا النبي ﷺ: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئًا. قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه منه ويقول: نِعْمَ أنت**»[2].

المرأة صاحبة احتواء ورعاية:

تظهر سمة الاحتواء عند المرأة في وظائف الأعضاء في عملية الحمل، ثم في احتضان الطفل. كما تظهر نفسيًا واجتماعيًا في احتضانها للأسرة والبيت، وما يموج فيهما من مشكلات واضطرابات. وترتبط هذه السمة الاحتوائية بسمة أخرى، هي سمة الرعاية الشعورية وغير الشعورية، حيث إن المرأة تقوم برعاية كل من في حوزتها: بدءًا من الجنين في بطنها، وانتهاء بزوجها. وإحساسها بواجب رعاية زوجها شبيه -بوجه من الوجوه- بإحساسها بواجب رعاية طفلها؛ إذ إنها تميل إلى رعايته، والاهتمام به، والقيام على شؤونه، وسد مطالبه، وتلبية رغباته.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس.

وإذا ما تصاعد الحب بينها وبين زوجها، فإن هذا الميل إلى الرعاية يزداد باطراد، حتى يصل إلى مرحلة لا يكون فيها فرق كبير بين رعاية المرأة لزوجها وبين رعايتها لأبنائها.

المرأة والغيرة:

إن الغيرة من الصفات الموجودة في طبع المرأة، ومنها ما هو محمود، ومنها ما هو مذموم. قال رسول الله ﷺ: «**من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يُبغِضُ الله؛ فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما التي يُبغِضُها الله فالغيرة في غير ريبة**»[1]. فالغيرة المحمودة هي التي تُبنى على أساس والقائمة على توفر الشروط اللازمة، أما الغيرة المذمومة فهي تقام على عنصر الظن والوهم والشك. والغيرة قابلة للزيادة والنقصان، وكلاهما مذموم، وغالبًا الغيرة في زيادة عند النساء.

والغيرة هي حمية وأنفة وكره شركة الغير، وخوف من أن يحتل الغير مكان الغيور. وقال عياض وغيره: هي مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين.

وغيرة المرأة على زوجها دليل على حبها له، وتعلقها به... والغيرة الطبيعية جوهرها الحب الحقيقي: وهي ألم رقيق

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٣١٦.

مستعذب، وموجة شقية تهز برفق قارب الحب، وقلق يبعث على اليقظة والانتباه والاهتمام، وهمسات غاضبة عاتبة، وشعور صحي بناء يدفع إلى الانتباه والاهتمام من أجل الحفاظ على الحبيب والحب.

ومن أروع الأمثلة التي تُضرب على هذا النوع من الغيرة هي غيرة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن على زوجهن رسول الله ﷺ. قالت عائشة رضي الله عنها: «إن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه. فجاء فرأى ما أصنع، فقال: «**مالك يا عائشة أغرتِ**»؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك. فقال رسول الله ﷺ: «**أقد جاءك شيطانك**»؟ قالت: يا رسول الله أوَ مَعِيَ شيطان؟ قال: «**نعم**»، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «**نعم**»، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «**نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم**»[1].

و «كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصَحْفَة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فِلَقَ الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: «**غارت أمكم**»، ثم حبس الخادم حتى أُتي بصحفة من عند التي هو في

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينًا.

بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كُسِرت فيه»[1].

وفي الحديث إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها؛ لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبًا بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة... والغيراء لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه[2].

وكلما ازداد حب المرأة لزوجها ازدادت غيرتها واشتدت، وهنا يجد الشيطان أن الفرصة مواتية له للتقدم واستغلال هذه الغيرة في إيقاع الشر؛ لأن الغيرة إذا زادت وأصبحت غير طبيعية فلا يمكن أن ينتج عنها سوى الشر؛ لأنها أصبحت مرضًا؛ وغالبًا يكون الشر على المرأة نفسها بإفساد العلاقة الزوجية، وهذا من الغيرة المذمومة غير الطبيعية.

إن الغيرة غير الطبيعية أحد الأمراض القاسية التي يمكن أن تصيب الحياة الزوجية... والغريب أن المدفوعة بالغيرة لا تعي أنها مصابة بهذه الآفة الخطيرة، بل إنها تعد غيرتها في بعض الأحيان تعبيرًا عن الحب، ولا تدري أن الغيرة المذمومة لا تعبر عن الحب وإنما تعبر عن رغبة أنانية في التملك، وهذا عكس مفهوم الحب الذي يقوم على التضحية وإنكار الذات... وفي أحيان كثيرة تدفع

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الغيرة.
(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٣٢٥/٩.

الغيرة المذمومة صاحبتها إلى ارتكاب حماقات تتسبب في جرح الكرامة أو الإحراج المؤذي للزوج على مرأى ومسمع من الناس... وقد تعتذر الغيورة المخطئة وتطلب العفو وتعد بعدم تكرار ذلك... ولكن لا تمر أيام إلا ويتكرر الموقف نفسه...[1].

والغيرة غير الطبيعية أو الغيرة المشكلة جوهرها وسواس أو مرض نفسي مثل حب التملك والسيطرة؛ وهي ألم يائس غليظ، ودوامات عاتية تشد قارب الحب إلى قاع اليأس، ومرض قاتل يعصف بالوعي ويذهب بالعقل، وصرخات مفزعة جارحة، وأشواك سامة بلا ورود، ولهيب حارق، وإنكار على الطرف الآخر حريته ونضجه ومحاولة السيطرة عليه سيطرة كاملة، والقسوة والتدمير له إذا خرج عن نطاق السيطرة، إنه الحب المدمر...[2].

وأساس الغيرة المشكلة ضعف الثقة بالنفس أو الشعور بالنقص، فتدفع هذه الغيرة صاحبتها إلى محاصرة زوجها ومراقبته والثورة عليه، وربما يصل الأمر بها إلى أن تحرِّم على زوجها حتى النظرة الأولى أو (نظر الفجأة) إلى امرأة أخرى، فهي تريده أعمى لا يقع بصره على أي امرأة أخرى، ولا يرى امرأة إلا هي فقط.

تقول امرأة لزوجها: «إنني أغار من كل شيء يحيط بك، كل شيء يثير اهتمامك، كل شيء يحتل مكانة عندك، كل شيء يستدر

(١) انظر: سامي محمود، أمراض الحياة الزوجية ٨٦.
(٢) انظر: عادل صادق، الغيرة والخيانة ٢٠-٢١.

حماسك ويستدرج مشاعرك، كل شيء تعطيه وقتك وتركيزك، كل شيء تعطيه حنانك أو يثير شفقتك... أغار من كل شيء يزحزحني من بؤرة اهتمامك ومركز وعيك... فأنا أريد كل اهتمامك، كل تركيزك، كل حبك وعطفك وحنانك وإشفاقك، كل لحظة من وقتك... أريدك كلك بجسدك وفكرك ومشاعرك. لا يراك أحد، ولا ترى أحدًا... لا ترى شيئًا في الدنيا إلا أنا... أغار حتى من نسمة الجنوب على محياك يا حبيبي... حاول أن تفهم لتشعر كيف تؤلمني الغيرة... لست وحدي بل هذا هو حال كل امرأة تحب... الغيرة هي امرأة تحب. وامرأة تحب هي الغيرة...»[1].

وإن امرأة لديها مثل هذه الغيرة إذا خرجت مع زوجها فإنها ستتوهم أنه ينظر هنا وهناك إلى النساء، وهي دائمًا تقف حارسًا على نظراته فتتابع اتجاهاتها، والويل له إن وقع نظره فعلاً على امرأة فإنها ستحاسبه في حينها وأمام الناس... وقد أرسلت سيدة إلى إحدى الصحف تحكي مشكلتها تحت عنوان: غيرتي طلقتني مرتين؛ فقالت: «تزوجت مرتين وطلقت مرتين، أعترف الآن أن السبب لم يكن في أي من الزوجين. السبب كنت أنا برغم أنني جميلة وشابة إلا أنني شديدة الغيرة. إذا خرجنا إلى السوق نعود متخاصمين، والسبب أنني أظنه نظر إلى امرأة، أو اختلس النظر إليها. لا أقول إنني صادقة في ذلك، ولكن أظن هذا وأتخيله».

(١) المصدر السابق ١١.

فالإسراف في الغيرة غير الطبيعية يصبح وبالاً على المتصفة بها، وتبطش بها بطشًا؛ فهي تغيظ قلبها، وتقلق نفسها، وتشتت فكرها، وتؤرق جفنها... وتصف إحدى النساء أعراض الغيرة فتقول: مشاعر الغيرة متعبة جدًا... إنها مزيج من القلق والخوف والتوتر والضيق والارتعاش الداخلي والتشنج العضلي، وأحيانًا تضطرب معدتي وتفيض ألمًا، أو يكسر رأسي الصداع وأشعر بسخونة تصعد من قدميَّ إلى أعلى وبضيق في الصدر واختناق في العنق، ويضطرب صوتي وتختلج عضلات وجهي وأحسها مشدودة متقلصة، ويجتاحني غضب غير محدد الاتجاه...[1].

والغيرة الشديدة المذمومة تدفع المرأة إلى المعصية بالغيبة والنميمة والإضرار بالغير، خاصة الضرائر إن كان لها ضرائر، وربما تدفعها إلى كراهية أهل الزوج وتحريض زوجها عليهم. كما تدفعها الغيرة الشديدة إلى الشكوك والأوهام والتخيلات، وإساءة تفسير الحوادث والمواقف. وبالطبع لا تدري من تقع تحت تأثير هذه الغيرة المذمومة أنها تدمر العلاقة الزوجية، وتخنق فيها الحب والحنان والدفء، ولا يمكن لحياة زوجية صحيحة قوية أن تنمو وتسعد في جو من عدم الثقة والشكوك المستمرة.

والمرأة عمومًا أصبحت تكره أن يشاركها أحد في قلب زوجها، ومن هنا ظهر كرهها لتعدد الزوجات، وأخذت تنظر إليه على أنه

(١) المصدر السابق ١٧.

يضيرها معنويًا ونفسيًا، وذلك بعد أن أصبحت ضحية حركات (تحريف المرأة) عن فطرتها السليمة التي فطرها الله عليها، الذين حشوا رأسها بمفاهيم خاطئة، وعَوَّدوها عادات فاسدة، وربُّوها بواسطة أجهزة الإعلام على ما يبثونه من خلالها من تهجمات على هذا التشريع الإلهي مستغلين عاطفتها وغيرتها، فجعلوها تفضل الطلاق على التعدد، بالرغم من أن الطلاق يضيرها أشد الضرر وأفدحه، ولا يقاس بما تعدُّه ضررًا من التعدد.

وقد لا تكتف المرأة بالوقوف ضد التعدد ومنع زوجها من الزواج بغيرها، بل ربما تقف ضده أيضًا إذا كان زوج ابنتها يرغب في الزواج بامرأة أخرى، وتفضل لابنتها الطلاق على التعدد وهو من أعجب الأمور ودليل على انتكاس المفاهيم والانحراف عن الفطرة السليمة التي فطر الله المرأة عليها والتي تقتضي قبول المرأة بالتعدد ورضاها به، إذ ليست المرأة أعلم بنفسها من خالقها الذي شرَّع لها هذا التشريع، وحاشا له سبحانه أن يُشرِّع ما فيه ضرر على عباده.

والمرأة إلى عهد قريب قبل ظهور التعليم والإعلام المسموع والمرئي والمقروء لم يكن لديها أي مشكلة أو مفهوم من المفاهيم الخاطئة عن التعدد التي أصبح رأس المرأة في هذا العصر مملوءًا بها، وقد كانت المرأة قبل الإسلام تكون عاشرة عشرة زوجات وليست رابعة أربعة ولم يكن يخطر في ذهنها شيء مما تقوله نساء اليوم عن

التعدد. ربما كانت الغيرة هي الشيء الوحيد الذي كانت تعاني منه كما كان يحدث أيضًا مع زوجات النبي ﷺ، أما عن التعدد نفسه فلم أجد شيئًا صدر ضده من تلك النساء لا فعلاً ولا قولاً.

وربما الشيء الذي ساعد على ترويج المفاهيم الخاطئة عن التعدد هو عدم التزام بعض الأزواج بالشرط الوحيد الذي شرطه الله عليهم عند التعدد وهو العدل بين الزوجات في المبيت والنفقة، وكأني بهم لم يسمعوا حديث رسول الله ﷺ الذي حذَّر فيه من الجور والظلم في معاملة الزوجات، فقال عليه الصلاة والسلام: «**من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشقه مائل**»(١).

ولا تحسبن أن المرأة تغار من الضرة فحسب، بل إنها تغار من أي أنثى: أمها، شقيقتها، ابنتها، السكرتيرة، الخادمة، عجوز في السبعين من عمرها، طفلة في العاشرة... وربما تغار المرأة حتى من الأموات اللاتي فارقن هذه الحياة ولم يعد لهن أي ضرر عليها، وذلك إذا أكثر الزوج ذكرهن والثناء عليهن أمامها؛ ولم تنج من ذلك حتى عائشة أم المؤمنين، فمن هي دونها أولى.

تقول عائشة رضي الله عنها: «**ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يُكثر**

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٨٦٧.

ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يُقَطِّعُها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟».

وفي رواية أخرى عن سبب غيرتها: «**من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها**»[1].

وذات يوم جاءت هالة بنت خويلد أخت خديجة فاستأذنت على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، أي صفته لشبه صوتها بصوت أختها، فتذكَّر ﷺ خديجة بذلك، فتقول عائشة التي كانت حاضرة: «**فغِرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشِّدقَين هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها**»[2].

ففي الحديث ثبوت الغيرة وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلاً عمن دونهن، وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي ﷺ لكن كانت تغار من خديجة أكثر، وقد بينت سبب ذلك وأنه لكثرة ذكر النبي ﷺ إياها، وأصل غيرة المرأة من تخيل محبة غيرها أكثر منها، وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة. وأشارت بذلك إلى أنها لو كانت موجودة في زمانها لكانت غيرتها منها أشد. وكون النبي ﷺ كان يرسل أعضاء الشاة إلى صديقات خديجة هو أيضًا

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها.

من أسباب الغيرة لما فيه من الإشعار باستمرار حبه لها حتى كان يتعاهد صواحباتها[1].

فقد حددت عائشة رضي الله عنها سبب حدوث الغيرة، وهو (كثرة الذكر) وهذا يقودنا إلى مظاهر أخرى من مظاهر الغيرة عند المرأة؛ فالمرأة تغار من أي إنسان يُكثر الزوج ذكره، وتشتعل الغيرة أكثر إذا كان الزوج يستخدم في ذكره عبارات الإطراء والثناء والمديح... وعمومًا فإن المرأة تغار من أي شيء يحوز على اهتمام الزوج وإعجابه ووقته وإن كان شيئًا آخر غير الإنسان.

وإذا جلس الرجل أمام التلفاز ليشاهد النساء من كل شكل ولون فكأنه يضغط خطأً على زر في جهاز يؤدي إلى انفجاره، فرؤية المرأة لزوجها وهو يُحدِّق بنساء التلفاز يطير صوابها ويخرجها عن حد الاعتدال، ويمكن أن يحدث هذا للمرأة حتى مع ظهور نساء التلفاز بلباس محتشم، فما بالك إذا ظهرن شبه عاريات؟! بل إن الرجل يدفع زوجته إلى الجنون وربما إلى ما لا تحمد عقباه إذا أخذ في مدح نساء التلفاز ووصف جمالهن ومحاسنهن... وقد تسلمت كثيرًا من شكاوى النساء عن هذا الأمر في استفتاء يخص كتابًا آخر، حيث ذكرن أن من الأفعال التي تجعل الزوجة تكره زوجها أو تغضب منه:

(١) العسقلاني: فتح الباري ١٣٦/٧، ١٤٠ (بتصرف).

- عند مشاهدته التلفاز والتعليق على المذيعات والمغنيات بذكر محاسنهن.
- حينما يمتدح أو ينظر إلى امرأة أخرى في التلفاز.
- إذا لفتت انتباهه امرأة ما في التلفاز وأبدى لها اهتمامًا وتركيزًا.

فمن الزوجات من تعد التلفاز (ضرَّتها) التي يسكن إليها زوجها كثيرًا، بل ربما يسكن إليه أكثر مما يسكن إلى ضرَّتها إن كان لها ضرَّه.

المرأة والجنس:

قال الله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ..**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**...فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ...**﴾[2].

فالخطاب في هذه الآيات الخاصة بالجماع موجه إلى الرجال، فهم العنصر الطالب والإيجابي في الجماع، وهم الذين بيدهم المباشرة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٢٢-٢٢٣.

والاقتراب والإتيان واختيار الأوضاع، أو الاعتزال وعدم المباشرة.

وقال رسول الله ﷺ: «**إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع**»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجيء، لعنتها الملائكة حتى تصبح**»(٢)، وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**»(٣).

وهناك الكثير من مثل هذه الأحاديث التي تدعو المرأة إلى تلبية دعوة زوجها لها إلى الفراش، والخطاب هنا موجه إلى المرأة؛ لأنها العنصر المطلوب والسالب في الجماع، فالرجل يدعو ويقرر، والمرأة تجيب وتخضع... وهكذا يتناسب كلام رسول الله ﷺ وينسجم مع كلام الله تعالى أيما تناسب وانسجام... ذلك لأن شهوة الرجل الجنسية أقوى من شهوة المرأة، حيث إن الرجل بطبيعة وظيفته يتميز بالشهوة الجامحة الملحة الجريئة التي ليس لها وقت محدد، وهو يرغب في قضائها دون تأجيل. ولهذا كانت الأوامر النبوية موجهة جميعها إلى المرأة بالذات، وأنه يترتب على امتناعها سخط الله ولعن ملائكته وغضب زوجها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها.

openkandil.com

وإذا أردنا البساطة والصدق في التعبير عن الاختلاف بين الرجل والمرأة في هذا الأمر، يمكننا أن نستخدم عبارة (الرجل يعطي النطف المنوية، والمرأة تأخذها)؛ فهذه العبارة البسيطة الواضحة تظهر لنا مفتاح الاختلاف بين شهوتي الرجل والمرأة.

الرجل يحاول الانقضاض، والمرأة تندفع إلى الاستسلام...

الرجل يشبه ضاربي الحصار، والمرأة تشبه الحصن المحاصر...

الرجل هو الإبرة التي ترتمي بقوة على المغناطيس، والمرأة تكون ظاهريًا في حالة سكون، على حين تلعب خفية دور المغناطيس الجنسي الدائم...

وظيفة المغناطيس هي الجذب الممغنط، ووظيفة المرأة هي الجذب الجنسي. فالمرأة الصحيحة البنية والبعيدة عن روح الرجولة تعيش حياتها كلها معتنية كل الاعتناء بمظاهر أنوثتها التي تجعلها مركز جذب دائم للرجل.

والشهوة تدفع الرجل ليحصل على امرأة تبادله العمل الجنسي، وهذه الشهوة يستفحل أمرها فيه فتحثه على الهجوم. أما في المرأة فتقوى جاذبيتها وتتوزع في جميع أنحاء جسمها دون التقيد بالأنحاء الجنسية وحدها؛ فالشهوة في المرأة أعم وأكثر طهرًا ونبلاً منها في الرجل.

«ولأجل ذلك قد رُكِّب في طبع المرأة - بجانب الشهوة والجاذبية

الجنسية - الحياء والاحتشام والصدود والامتناع والفرار التي تتصف بها كل امرأة قليلاً أو كثيرًا. ولا ريب أن طبع الفرار والامتناع هذا ظاهر على إناث سائر الحيوان أيضًا، ولكنه في أنثى الإنسان أكثر وأشد. وقد زيد في شدته بما وُضع فيها من غريزة الحشمة والحياء»[1].

والأنثى العادية أقل اهتمامًا جنسيًا من الذكر العادي. ويستطيع كثير من النساء وقف أي نشاط جنسي لعدة أسابيع أو أشهر أو سنوات دون أي إحساس واع بالخيبة. وهذا موقف صعب جدًا عمليًا بالنسبة للرجل القادر قدرة طبيعية.

وهناك خمس حقائق علمية حول الجنس عند الرجل والمرأة وهي:

١- يختلف هدف الجنس عند الرجل عنه عند المرأة، فالنشاط الجنسي غاية في ذاته عند الرجل، والاتصال الجنسي عنده ينتهي بالقذف، ولكن الاتصال الجنسي عند المرأة قد يكون بداية لتغييرات جذرية داخلية بما يصاحب ذلك من حمل يترتب عليه إنجاب الأطفال، فالجنس عند المرأة بفطرتها وسيلة لغاية أكبر.

٢- كذلك فإن الرغبة الجنسية عند الرجل تختلف عنها عند المرأة، إذ إن الرغبة الجنسية عند المرأة - نتيجة لوجود الدورة الشهرية وما يتبعها من تغييرات هرمونية عضوية في جسمها - تختلف

(١) أبو الأعلى المودودي: الحجاب ١٥٤.

من وقت إلى آخر، أي إنها تتعرض لدورات من المد والجزر. ففي بعض الأحيان تبلغ الرغبة في الاتصال الجنسي ذروتها وقد تستمر هذه الرغبة لبضعة أيام، في حين قد ينتابها بعض الفتور في أوقات أخرى. هذا بعكس الرجل فالرغبة الجنسية عنده لا أوان لها ولا تخضع للمد والجزر.

٣- تختلف الاستثارة الجنسية عند الرجل عنها عند المرأة، فعلى حين نجد أن الرجل سهل الاستثارة جنسيًا ويستطيع أن يزاول الجنس بعد لحظات من التفكير فيه دون ما حاجة إلى استعداد سابق، فإننا نجد المرأة تحتاج إلى أن تثار ذهنيًا قبل الاتصال الجنسي، وهي تشعر بالرغبة في الجنس حين يفيض المناخ حولها بالحب والحنان وكلام الغزل الحميم. وكذلك على حين تتركز الاستثارة في الأعضاء التناسلية عند الرجل، فإن المرأة تحتاج إلى استثارتها بدنيًا قبل الشروع في مزاولة العملية الجنسية المباشرة.

٤- تختلف المدة اللازمة للوصول إلى قمة الشهوة من بداية الاستثارة عند الرجل عنها عند المرأة، ففي أغلب الأحيان تحتاج المرأة إلى مدة أطول من الرجل للوصول إلى قمة الشهوة وذلك لأن الاتصال الجنسي يبدأ عند المرأة من لحظة الاتصال البدني الذي يسبق الإيلاج ولكنه يبدأ عند الرجل من لحظة الإيلاج.

٥- على الرغم من وجود فروق في المقدرة الجنسية بين رجل وآخر،

إلا أن هذه الفروق محدودة المدى إذا قورنت بالفروق الواسعة بين الرغبة الجنسية عند امرأة وأخرى، فمدى الفروق في الرغبة الجنسية عند النساء أكثر اتساعًا منه عند الرجال. وتوجد حالات كثيرة لنساء تبلغ عندهن الرغبة الجنسية أقصى درجاتها، في حين يوجد نساء لا رغبة جنسية عندهن على الإطلاق، أي إننا قد نجد نساءً عندهن رغبة جنسية عارمة، وهنَّ قليلات، وأخريات عندهن برود جنسي تام وهنَّ قليلات أيضًا، أما الغالبية العظمى من النساء فإن قوة الرغبة الجنسية عندهن متوسطة.

والشهوة الجنسية تتوقف عند المرأة حين تصبح حاملاً، ولهذا لا تطلب الجماع لمجرد اللذة، بل تتوق نفسها لأمر ثابت ومستديم. أما الرجل فيفرغ نطفه المنوية ليلتحق بعمله في الحال، في حين تود المرأة أن تكون زوجة محبوبة يرعاها باهتمام بالغ ومستمر، والرجل منطقي بطبعه؛ ولذا نراه يستسلم لغرائزه فيضع النسل في أحشاء زوجته ويظن أن واجبه قد انتهى عند هذا الحد، وما إن ينتهي اللقاء حتى ينهمك في إعداد محاضرة يلقيها في الغد أو سفر سيقوم به بعد غد أو أي عمل آخر. وفي هذه الأثناء تذهب نطفه المنوية في أحشاء زوجته لتفتش عن البويضة، وتمضي تسعة أشهر يكون فيها قد نسي مغامرته الجنسية؛ فتضع المرأة ثمرة الحب طفلاً يحتاج إلى إعالة وتربية لمدة سنين طويلة... وفي حين يكون

الاتصال الجنسي مغامرة عابرة بالنسبة للرجل، يكون بالنسبة للمرأة مليئًا بالاحتمالات التي تتعلق بشخصها وتقرير مصيرها.

إن الآثار العديدة التي تترتب على اللقاء الجنسي بالنسبة للمرأة، جعلتها تتردد قبل الاستسلام. وقد أحاط الله تعالى المرأة بحصنين: أحدهما جسمي، والآخر نفسي. فالجسمي هو غشاء البكارة، والنفسي هو الحياء الأنثوي. والمرأة العفيفة تتحفظ كثيرًا في القضايا الجنسية مع أنها تميل داخليًا للرجل، ولكن حالما تصل إلى بيتها تطرح هذا التحفظ جانبًا وتشعر بالعزة والسعادة.

المرأة والأمومة:

قال الله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾[1].

إن الأمومة هي الوظيفة المحورية التي تتمركز حولها كل حياة الأنثى من مطلع الصبا إلى الشيخوخة. وهي غريزة فطرية تسمو في المرأة على كل غريزة أخرى، وهي منبع خصب تستمد منه المرأة كل قواها الدافعة وطاقاتها الإبداعية. وليست الأمومة مجرد حمل تنوء به المرأة، بل هي أداتها إلى تحقيق تكاملها النفسي واتزانها الوجداني اللازمين لبلوغ السعادة. والأمومة أمر تكتنفه المصاعب والمشكلات، بيد أنها تعبر عن تلك التجربة الخصبة التي تستطيع

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٤.

المرأة من خلالها أن تحقق رسالتها التي تجد فيها لذة كبرى. وفي الوقت الذي تدرك فيه المرأة أنها قد أدت مهمتها تلك على أكمل وجه، فإنها تدرك تمامًا أنها حققت ذاتها أولاً وقبل كل شيء.

فإذا كانت القدرة العاطفية هي السمة الأساسية التي تتميز بها نفس حواء، فهذا يعني القدرة العاطفية التي تعد الوجه الآخر للأمومة. فالأمومة أو العاطفة - ولا فرق - أمر قد خُلقت المرأة متطبعة به متجهة إليه. فالله عزَّ وجلَّ قد ركَّب في المرأة خصائص تتفق مع رسالتها في تربية أولادها، إذ فيها من العاطفة ما يجعلها أصلب عودًا من الرجل في تحمل أعباء أولادها والسهر على تربيتهم ومعالجة شؤونهم في صبر وجلد، الأمر الذي يضيق به الرجل.

فمن خصائص المرأة النفسية أنها تظل محافظة على معالم الطفولة لا في جسمها فحسب، بل في طباعها وحالتها النفسية، وهي لو اختلفت وجوه شبهها عن الطفل كثيرًا لما استطاعت أن تكون أمًا صالحة، فهي تفهم متطلبات الطفل بسبب شعورها الطفولي، في حين يبتعد الرجل عن عقلية ومحيط الطفل بسبب تطوره الذهني. أما هي فتبقى كالطفل تستوعب أكثر مما تكون خلاقة، حنانها يزيد عن تفكيرها، وحدسها يقظ أكثر من حياتها الذهنية، إذ هي مكونة لتتحمل وتقاسي أكثر مما تتصرف، قابلة للخضوع أكثر من السيطرة، متوسطة ما بين الزوج والطفل، وهكذا

تحتل في العائلة المركز الأول لتحافظ على الانسجام بين أفراده المختلفي النزعات[١].

«إن الأمومة، بكل ما تحويه من مشاعر نبيلة، وأعمال رفيعة، وصبر على الجهد المتواصل، ودقة متناهية في الملاحظة وفي الأداء... هي التكييف النفسي والعصبي والفكري الذي يقابل التكييف الجسدي للحمل والإرضاع. كلاهما متمم للآخر، متناسق معه، بحيث يكون عجيبًا أن يوجد أحدهما في غيبة من الآخر... وهذه الرقة اللطيفة في العاطفة، والانفعال السريع في الوجدان، والثورة القوية في المشاعر، التي تجعل الجانب العاطفي، لا الفكري، هو النبع المستعد أبدًا بالفيض، المستجاش أبدًا بأول لمسة، كل ذلك من مستلزمات الأمومة؛ لأن مطالب الطفولة لا تحتاج إلى التفكير، الذي قد يسرع أو يبطئ، وقد يستجيب أو لا يستجيب، وإنما تحتاج إلى عاطفة مشبوبة لا تفكر، بل تلبي الداعي بلا تراخ ولا إبطاء»[٢].

وترى (هيلين دويتش) أن (حب الأم) ليس غريزة، بل هو عاطفة أو حالة وجدانية؛ فليس (حب الأم) مرتبطًا بالضرورة بالحمل، بل قد يكون في استطاعة المرأة أن تبدي (عاطفة الأمومة) نحو طفل قد تبنته، أو نحو أبناء الزوج الذين أنجبهم من زوجة أخرى. وليس غريبًا أن نجد بين النساء مَن تتجه بحاجتها الطبيعية إلى الأمومة

(١) فريدريك كهن: حياتنا الجنسية ٦١-٦٢.
(٢) محمد قطب: الإنسان بين المادية والإسلام ١٧٠.

نحو موضوعات أخرى غير أبنائها؛ فنراها تعطف على أبناء الآخرين، أو تبدي حنان الأمومة نحو طائفة من البالغين.

إن المرأة مفطورة على التطلع نحو الأمومة... ويستحيل أن تمحى الأمومة من كيان المرأة... فهي أم منذ الطفولة وتعشق الأمومة، ومهما اتجهت في الدنيا اتجاهات بعيدة عن الأمومة تظل تأمل أن تصبح أمّاً في يوم من الأيام، وعلى أن لا تغادر الدنيا إلا وقد حققت ما أودع في فطرتها، وهذه الفطرة تهوِّن على المرأة كل متاعب الحمل والولادة والإرضاع والتربية، بل هي تستعذب هذه المهمات ولا تتبرم بها، وهي مهمات طويلة الأمد ولا يتم إنجازها في وقت قصير، كمهمة الرجل الذي يلقي البذور ثم يذهب إلى عمله دون أن يخطر في باله أن بذوره راحت تتسلق حنايا الجهاز الأنثوي لتلقيح بويضة زوجته ثم لتصبح حاملاً، حتى إذا مضت تسعة أشهر اضطجعت على سرير الولادة لتهب إلى العالم إنسانًا جديدًا قد يكون له الأثر العظيم في الأرض... وأسعد ساعات المرأة هي ساعة الولادة؛ لأنها تحقق لها أنوثتها وأمومتها المشتهاة.

قال الله تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا**﴾[1]. إن المرأة تقاسي في حملها مشقة وتعبًا ووحمًا وغثيانًا وحملاً ثقيلاً لعدة أشهر... ثم تعاني من أوجاع الطلق والولادة وتغيرات الجسم بسبب

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

ذلك... ثم تقاسي في رعاية وليدها وإرضاعه والسهر عليه والتعب في تربيته... وهي تبذل كل ذلك من جسمها وصحتها وأعصابها وعمرها، من غير تأفف ولا شكوى، بل في نشاط وهمة، وفرح وسرور... وهي على استعداد دائم للتضحية بنفسها وبكل غال ونفيس في سبيل أن يسلم وليدها وينمو. ولأجل ذلك كان البر بالأم سببًا في دخول الجنة، وأنها أحق الناس بصحبة الولد؛ فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَن أحق بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**». قال: ثم مَن؟ قال: «**أمك**». قال: ثم مَن؟ قال: «**أمك**». قال: ثم مَن؟ قال: «**ثم أبوك**»[1].

المرأة غير الطبيعية (المترجلة):

قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ**﴾[2]، نزلت هذه الآية في قول النساء ليتنا الرجال فنجاهد كما يجاهدون ونغزو في سبيل الله عزَّ وجلَّ... فنهى الله تمني النساء أن يكنَّ رجالاً فيغزون[3]. فلكل من الذكر والأنثى صفات خاصة بجنسه، وهما جنسان مختلفان من الخلق يكمل أحدهما الآخر ولا يمكن أن يكونا متساويين لا في الجسم الظاهر ولا حتى في أصغر الخلايا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٢.
(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ١/٥٠٠.

والهرمونات؛ لأن لكل منهما خلاياه وهرموناته الخاصة، ولا في الصفات النفسية والعقلية... ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾[1].

بالضد تُتَبَيَّن الأشياء وتُعرف قيمتها؛ فبالصُّم نعرف قيمة السمع، وبالبُكم نعرف قيمة النطق، وبالعُمي نعرف قيمة البصر، وبالمعوقين نعرف قيمة سلامة الجسم واعتدال القامة، وبالمرأة المترجلة غير الطبيعية نعرف قيمة المرأة الأنثى الطبيعية.

فالمرأة الأنثى الطبيعية نعمة عظيمة من الله... ويمكننا أن نعرف قدرها وقيمتها الحقيقية أكثر إذا عرفنا الصفات النفسية والعقلية للمرأة المناقضة لها والتي ابتعدت عن الأنوثة واقتربت من الرجولة وهي (المرأة المترجلة)، وعندها يتبين الفرق وتتبين مزايا المرأة الأنثى الطبيعية... فحتى الصفات التي يعدُّها الرجال نقصًا في المرأة الطبيعية تصبح لا شيء، بل تصبح من محاسن الأنثى لا من مساوئها... وسيعرفون أن من بديع صنع الله عزَّ وجلَّ أن يكون خَلْقُ المرأة هكذا لتكون امرأة وليس رجلاً أو شبه رجل، وأنه ما كانت الأنثى لتكون أنثى لولا هذه الصفات.

قالت عائشة رضي الله عنها: «**لعن رسول الله ﷺ الرَّجُلَةَ من النساء**»[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٥٥.

إن المرأة المترجلة ابتعدت عن شخصية الأنثى الحقيقية... وقد سميت مترجلة لأنها تتشبه بالرجل في أمورٍ ونواحٍ متعددة.

والمرأة المتشبهة بالرجال عادة لها سمات تميزها عن مثيلاتها، وهي غالبًا ما تنحو منحى خاصًا في حياتها، سواء في مظهرها أو طريقة تعاملها مع المجتمع عمومًا، وزوجها وأولادها خصوصًا. ولا يصعب على من يتعامل معها من الناس خاصة الرجال أن يلاحظوا أنهم أمام امرأة من صنف مختلف تمامًا عن الذي يعهدونه في النساء.

فمن حيث المظهر؛ قد ترتدي ثيابًا أقرب إلى الذكورة منها للأنوثة... أو ترتدي ثيابًا كالرجال فتلبس (البنطلون) والقميص وتمشط شعرها وتصففه مثلهم تمامًا، وقد «**لعن رسول الله ﷺ المرأة تلبس لِبسَة الرجل**»(١) و «**لعن المتشبهات من النساء بالرجال**»(٢). وبعض هذا الصنف يرفض الزواج مبدأً... وبعض من يتزوج منهن يرفضن الحمل... وإن حملن ووضعن رفضن إرضاع الصغار لأنهن - بزعمهن - لسن أبقارًا تحلب وترضع...

تتعامل مع الرجال بخشونة وقسوة وجفاء ظنًا منها أنهم يتعاملون دومًا هكذا فيما بينهم... فلا رقة ولا نعومة... تحب أن

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٥٤.
(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٥٣.

تقول، لا أن يقال لها... تأمر لا تؤمر... تطلب فتطاع... تعطي الإرشادات ولا تعطى... تتحدث وتدلي بالنصائح إلى أشخاص أكبر منها سنًا ومنصبًا وعلمًا وكأنهم تلاميذ في روضة أطفال... تمنح وتمنع، لا تُمنح ولا تُمنع...

تتصرف بقسط أكبر من الحرية الشخصية والاجتماعية... ترفض نصح الناصحين وإرشاد المرشدين، سواء كانت في بيت أهلها أو في بيت زوجها... تنطق الألفاظ البذيئة وتلوح بيديها وتشير بأصابعها... فهذه المرأة تدمي القلب وتجرح مشاعر الزوج وتؤذي الوجدان وتأتي بالهم والأحزان وتجلب الشجار والخصام... إن كلامها وسلوكها المعوج يصبح كالفيضان الجارف أو الطوفان الذي يتلف الزرع والضرع ولا يترك خلفه إلا حطامًا وركامًا... يا له من زوج تعس من كان مصيره مرتبطًا بزوجة كهذه؛ لأن أخطارها ستتجاوز حتمًا جدران شقة الزوج... فيحدث ما لا تحمد عقباه من تصرفات طائشة وحركات غير مهذبة أو مسؤولة؛ فيصبح زوجها وأهلها إما جناة أو مجنيّاً عليهم في إحدى المعارك...

قد تضرب من يستفزها مهما كان جنسه أو عمره... تتحدث مع الرجال في قضايا الساعة والمجتمع والجنس وأي شيء تثيره جلساتهم، تجلس معهم أينما يجلسون في مقهى على الرصيف أو في صالة اجتماع داخلية... ولا مانع من أن تقدم لهم الدخان أو تأخذ منهم وتدخن معهم... دون أن تتذكر أنها أنثى وعليها أن

تستحي من هذا الجلوس، أو من هذا الحوار، أو من هذا الجدال، أو من هذا السلوك...

تميل للعنف أكثر من العطف... تميل للقسوة أكثر من الرحمة... والغلظة أكثر من الرقة... تصر على رأيها كأن في رأسها حجرًا... لا تعرف المرونة أو الليونة أو أنصاف الحلول في الآراء... قلبها لا يفيض حنانًا ورقة على زوجها وأولادها بل صدرها يشع غلظة وقسوة عليهم إذا ما التمسوا الدفء في أحضانها... تتظاهر بأنها محنكة عالمة وهي أجهل ما تكون الجاهلة بطبيعة الإناث أو الذكور أو تربية الأولاد أو بماهية الكون والحياة.

كلمتها كانت سائدة على أمها وأبيها في الصغر... وعلى إخوانها وأخواتها في الطفولة والمراهقة... وعلى زوجها بعد الزواج... عنيدة... طائشة في تصرفاتها... خشنة في صوتها... مسرفة في تهديدها ووعيدها.

لا تستر زوجها مهما كانت عشرته معها... ودومًا تدفن حسناته وتنشر سيئاته بوعي أو بلا وعي... لا تعين زوجها على مصائب الزمان بل هي تعين الزمان على زوجها... هي بلاء على زوجها وأي بلاء... هي الشخص المريض في حياته الذي يجلب له من المشكلات والإحراجات والمواقف الصعبة ما لا حصر له... ومع كل ذلك لا تشعر أن هناك شيئًا يتطلب منها الاعتذار إليه... بل هو الظالم

وهي المظلومة... فهي تطلب منه دومًا أن يكون البادئ في طلب سماحها ورضاها إن غضبت... والمجفف لدموعها إن بكت... والمجيب طلبها إن طلبت... الصامت أمامها إن تكلمت... الموافق لرأيها إن وافقت... الرافض معها إن رفضت...

تذوب شخصيته تمامًا في شخصيتها... يصبح كالأبله أو التابع الأمين أو كظلها حيثما شاءت، هذا إن أراد أن تستمر حياته معها حفاظًا على زواجه التعيس... أو رضاء بقدره... أو إعجابًا بشخصيتها... أو إسكاتًا لفضائحها... فكلما ارتفع رصيد التنحي عن شخصيته ودوره القيادي كربان في قيادة سفينة الزوجية واكتفى أن يكون ملاحًا رغبة في السلامة هبط رصيده الرجولي وأصابته العنة مبكرًا... وهيهات هيهات أن ينجح الطبيب من خلال إعطائه هرمونات الذكورة له في معالجة ضعفه الجنسي أو عنته... لأن العنة هنا ليست عضوية بل لعلة نفسية هي سلبيته أمام رجولة زوجته وطغيانها وسطوتها...

إن المرأة المترجلة تقوم بعملية إخصاء لزوجها بغير جراحة... إن رضي بذلك أو استسلم لها، ولم يدفع عن نفسه شرها ولم يحمها من غبائها وحمق تصرفاتها... فإن دعاها للفراش تأففت من الدور الأنثوي الذي يجب أن تؤديه... وهزئت بما يطلبه زوجها من صور الاستمتاع المباح شرعًا بها...

تتأفف من الأعمال الأنثوية وتصفها دومًا بأنها أعمال الخدم... فهي لا تجيد الطهي ولا الكي أو غسل الملابس ونظافة المنزل... وإن اضطرت إليها فعلتها وهي كارهة وغير متقنة لها... وترفض أن تحسن طريقتها أو تعدلها أو تهذبها عند تعاملها مع الجماد أو النبات أو الإنسان كما تفعل كل النساء...

هي نوع ممسوخ من الفطرة لا ترتاح إليه نفوس الأسوياء... تجيد فن التناقض مع زوجها فيما تؤديه من أعمال أو تبرزه من سلوك... فإذا كان زوجها فرحًا حزنت... وإن كان ترحًا فرحت... وإن دخل المنزل خرجت... وإن خرج من المنزل دخلت... بيت الزوجية لا تغلق أبوابه أمام أهلها وأصحابها... بيت الزوجية موصدة أبوابه أمام أهله وأصحابه... لأنهم يجهدون أعصابها... ويتعمدون إحراجها...

لا تفتخر بزوجها وعمله وإنجازاته... بل تتبعه لهدم هذه الإنجازات... يشجعه الناس وهي تثبِّطه... يمدحه الناس وهي تذمه... تتفنن في مسح أي فكرة حسنة عنه من رأس من يعرفه وتحشو مكانها الفكرة السيئة... وهي دومًا تحكي عن عملها وقصص كفاحها منذ نعومة أظفارها، ولا تمل تكرار سرد القصص نفسها... لا تحب أن يقال هي زوجة فلان بل تحب أن يقال هو زوج فلانة... إذا اشترى الزوجان أرضًا أصرت على أن تكون باسمها... وإذا اشترى بيتًا طلبت أن يكون باسمها... وإن أدخلوا هاتفًا فلا

بأس كذلك أن يكون باسمها... وإن اشتروا محلاً تجاريًا أسمته باسمها... اسمها مثل الشمس في مخيلتها ينبغي أن يكون ساطعًا في السماء... واسمه يجب أن يكون ضئيل الحجم ونحيلاً ونحيفًا إذا ما قيس باسمها السمين...

كم من رجل هجر بيته وأولاده وامرأته لأنها ناشز رافضة أن تقوم بواجب الأنثى الزوجة... الأنثى الأم... الأنثى المربية الراعية في بيتها... وأرادت أن تمثل دور المرأة الرجل... المرأة السيد... المرأة الملك... وآثر هذا الزوج عليها امرأة تفوق زوجته دمامة وقبحًا في المنظر... لكنها تتفوق عليها في أنوثة السلوك والجوهر... لأنه اختار راحة البال والقلب؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يدعون الله عزَّ وجلَّ فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها...**» الحديث[1].

ومن أجمل ما قيل في وصف مثل هذه المرأة ما قاله رجل وهو يعظ ولده: إياك وكل امرأة مذكَّرة منكرة... حديدة العرقوب... بادية الظنبوب[2]... منتفخة الوريد... كلامها وعيد... وصوتها شديد... تدفن الحسنات وتفشي السيئات... تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان... ليس في قلبها له رأفة... ولا عليها

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧٥.
(٢) الظنبوب: حرف عظم الساق من قُدُم.

منه مخافة... إن دخل خرجت وإن خرج دخلت... وإن ضحك بكت وإن بكى ضحكت... وإن طلقها كانت حرفته... وإن أمسكها كانت مصيبته... سفعاء[1] ورهاء[2]... كثيرة الدعاء... قليلة الإرعاء... تأكل لمًا وتوسع ذمًا... صخوب غضوب... بذيَّة دنيَّة... ليس تُطفأ نارها ولا يهدأ إعصارها... ضيقة الباع... مهتوكة القناع... صبيها مهزول وبيتها مزبول... إذا حدثت تشير بالأصابع وتبكي في المجامع... بادية من حجابها... نبَّاحة على بابها... تبكي وهي ظالمة... وتشهد وهي غائبة... قد دُلِّيَ لسانها بالزور... وسال دمعها بالفجور...

وهكذا... وبعد معرفة صفات المرأة غير الطبيعية (المترجلة) تتبين قيمة المرأة الطبيعية وقدرها، وأنها آية من آيات الله ومن أجمل نِعم الله على الرجل.

(١) سفعاء: سوداء.
(٢) ورهاء: حمقاء.

obeikandl.com